وجوه المبالغة والعناية بالجزئيات في الشعر الجاهلي

بقلم ايليا الحاوي

لئن استبدت النزعة التقريرية بالوصف الجاهلي ، فذلك لا يعني ان الشاعر وصف الاشياء بحقيقتها الذاتية الخاصة بل على العكس ، فامرؤ القيس لم يصور فرسه وطرفة لم يصور ناقته ، بل انهما صورا فرسا وناقة نموذجيين ، يمثلان المثال الاعلى للافراس والنياق . وكذلك الامر فى الحبيبة والطلل والمغازات ، وسائر مظاهر الطبيعة ، فأن الشاعر لم يكن يحدق ويتفرس بها ، ليصورها بواقعها الخاص ، بل يؤلف فضائل مميزات وينسبها الى الظاهرة التي يتولاها ، اصحت فيها ام اخطأت . وهكذا فان كل ملمح تشهده فى الحبيبة مثلا ، انما هو النموذج الاسمى الذي لا يمكن ان يصور بشكل اروع . فالشاعر اذ يصف عيني حبيبته ، ينظر اليها بالذات ، بل يعتكف على ما فى ذهنه من معاني الجمال الذي توصف به العيون ، فيصقله ويهذبه ويضيف اليه بعض التفاصيل ويحذف تفاصيل اخرى ، حتى يتمكن من ان يفيض عليهما بجمال لم يستطع احد من الشعراء ان يبلغه . فهو لم يصور عيني حبيبته بل عيني الجمال المطلق . وكذلك الامر فى الناقة والفرس وسائر المواضيع ، فهي جميعا ، نياق وافراس ، مؤلفة تأليفا فى الذهن .

المبالغة

ولقد ادت هذه المثالية الى ما نشهده فى الوصف الجاهلي من مبالغات ، تشتد وتجنح فى بعض الاحيان ، حتى الاسطورة والخوارق . فالشعراء الجاهليون يترددون على المعاني المثالية ويتبارون فيها ، ويكاد الشاعر اللاحق لا يلتفت الى ما يشخص فى نفسه من تلك الظاهرة ، بل يقتصر على المعاني والاوصاف التي سلفت فيمن سبقه ، يتولاها ويمعن بالعبث بها والمغالاة فيها ، حتى تضاعفت المغالاة ، ولم يبق ثمة نبذة فى المواضيع التي تصدوا لها ، الا وانهكوها تمضغا وعبثا وغلوا . وهكذا فان غاية طرفة لم تكن وصف ناقته ، بل وصف ناقة نموذجية مثلى تبز فى اوصافها وفضائلها ، الناقة التي وصفها امرؤ القيس او زهير ، ومن اشبه . وكذلك الفرس والطلل والحبيبة ، هذه جميعها ، كانت مواضيع لمباراة الغلو والمستحيل التي ما فتىء اولئك الشعراء يكدون ويجتهدون فى تأديتها .

ولقد جرت هذه المبالغة ، وفقا لاساليب شتى اهمها ثلاثة

١ ـ تخصيص التشبيه ـ ٢ ـ الاستطراد به ـ ٣ ـ الابتعاد بين طرفي التشبيه .

اولا ـ تخصيص التشبيه

ان التشابيه الاولى التي ألم الجاهليون ، كانت تجري على تشبيه قاطب مباشر . فهم اذا وصفوا العيون قالوا ، انها كعيون البقرة الوحشية . وقد كان هذا التشبيه جديدا ، بكرا فى مرحلة اولى بعيدة من نشأة الشعر الجاهلي وما عتم ان شاع فى التداول حتى افتقد قدرته على التعبير والتأثير فجعل الشاعر اللاحق يعنى بتجديد هذا المعنى ، محاولا ان يضيف اليه بعض المميزات الجديدة ، فلم يعد يكتفي بتشبيه عيني الحبيبة بعيني البقرة الوحشية عامة ، بل جعل يقيدها او يخصصها بوحش وجرة من دون سواها لانها اجمل تلك الوحوش . ولقد كان هذا التخصيص وجها من وجوه الغلو الذي تسامى به شاعر لاحق على شاعر سابق ، حتى تولاه إمرؤ القيس ، فخصصه او جزاه من جديد بقوله :

تصد وتبدي عن اسيل وتتقي   بناظرة من وحش وجرة مطفل

فالوحوش لم تعد من وجرة وحسب ، بل غدت مطفلة . والواقع ان هذه الصفة ، قد تبدو للوهلة الاولى ، خارجية للقافية لكننا بعد ان نتمعن بها ، فانها تبدو داخلية . ذلك ان البقرة الطفلة تكون عيناها اكثر حنانا وعذوبة . وهكذا ، فان مغالاة امرىء القيس كانت فى تخصيص التشبيه القديم الشائع .

ثانيا ـ الاستطراد

ولقد كان الشاعر الجاهلي ، يتوسل للغلو بالتشبيه الاستطرادي ، مغاليا بالمشبه من خلال الاستطراد بالمشبه به . وهو فى ذلك يتولى صورة قديمة ، شائعة ، وينصرف فيها الى المشبه به ، يسرف بوصفه ، ليرتقي به على المعاني السابقة . قال الحارث بن حلزة اليشكري :

لمن الديار عفون بالحبس   آياتها كمهارق الفرس

اما ثعلبة بن عمرو العبدي ، فلم يكتف بذلك التشبيه وما فيه من اقتضاب وتلميح ، فانثنى الى وصف الكاتب الذي يكتب عبرها ، فصوره ، مغاليا بالمقارنة ، بين الصحيفة والطلل بقوله .

اكب عليه كاتب بدواته   يقيم يديه ، تارة ، ويخالف
رجا صنعه ما كان يصنع ساجيا   ويرفع عينيه عن الصنع طارف

هذه الصورة وليدة الصورة الاولى ، ولكنها غالت بالاستطراد فى وصف الكاتب الذي يغشى الصحيفة بكتابته ويمكن ان ندخل فى هذا الباب جميع التشابيه الاستطرادية التي أسرف بها الجاهليون .

ثالثاً ــ الابتعاد بين طرفي التشبيه

وهناك وجه اخير للمبالغة ، وهو اهم تلك الوجوه ، واكثرها تداولا فى الشعر الجاهلي ، وهو التشبيه الذي يولد المبالغة فى الابتعادبين بين طرفيه ، بالرغم من ان وجه الشبه يستقيم على ملمح حقيقي بعيد . فآمرؤ القيس شبه سرعة جري حصانه بالخذروف الذي بالغ الصبي بفتله . وقد تؤلدت المبالغة من الفرق بين سرعة الفرس والخذروف وكذلك الامر فى تشبيه وجه المراة بالشمس المتلألئة .

ضعف الهندسة الفنية

الا ان هذه المبالغة لم تكن تجاري ضرورة التدرج والتطور فى الوصف ، فهي ترتفع الى ذروة الاسطورة ، ثم تنهار الى حضيض الواقعية ، فيناقض اللاحق السابق ، ويزيل تأثيره . لقد جمع طرفة لناقته صوراً وتشابيه ، توهم القارىء بانها لا تضاعى . ثم ما عتم ان ارتد الى واقعية تسفح فى اذهاننا الصورة التي كان قد اجتهد فى ترسيخها ، فهو يقول :

امون كالواح الاران نسأتها على لاحب ، كأنه ظهر يرجد

لقد جعل يضربها بالمنسأة لتتدافع وتجري ، فكيف تكون الناقة بطيئة ، حتى يضطر راكبها ان يجلدها بالمنسأة ، ليستحثها على السير ، بينا هو لا ينفك خلال القصيدة جميعا يغالي بالفضائل التي تجعلها افضل النياق . ذلك انه لا هندسة فنية ، ولا تصميم لدى الشاعر وهو لا ينظم الابيات ، بعضها بالنسبة للبعض الاخر ، بل يهذي بها هذيانا وفق ما يتفق له . ومن ذلك ايضا ما نشهده فى معلقة عمر بن كلثوم اذ شبه بني قومه بالجن لبطشهم بالاعداء ، لكنه لا يعتم ان يهدم تلك الصورة الخارقة المثالية ، ويعفى آثارها فى ذهننا ، اذ يقول :

كأن رؤوسنا منا ومنهم اماعز فى الاباطح يرتعينا

لا شك ان هذه الصورة تمثل الوصف الجاهلي ، وما فيه من واقعية نسخية ، منقولة ، لكننا لا نسيغ هذه الواقعية المهيضة ، بعد تلك الاجواء المحلية الاسطورية التي دأب على ايهامنا بها عبر المعلقة جميعا .

ولعل هذا التفاوت فى الهندسة الفنية ، يستبد بالشعراء الجاهليين ، جميعا ، حتى نرى خطرات منه فى شعر النابغة وهو اكثر الجاهليين انضباطا وصقلا . لقد شرع خلال مدحه لعمرو بن الحارث ، يصف تفوق جيش الغساسنة ، وينمي اليه اعظم اساطير البطش والقوة ، حتى جعل الطير تدرك بطولته وعظمته . وبعد ان يعرض لشتات من الصور الاخرى التي لا تقل خارقة وتعظيما عن الاولى ، نراه ينهار الى النسخ والواقعية اللذين يخالفان ما اسلف من اساطير العظمة والبطش . لقد اعترض ، خلال وصفه لقتال الجنود بقوله :

لهم يتساقون المنية بينهم بايديهم بيض رقاق المضارب

ان الجنود الهائلين المروعين الذين كان يصفهم منذ لحظة جعلوا الان يعانون مصير الناس العاديين ، اصبحوا يقتلون ويقتلون ، بينما كان يدعي منذ حين انه لا قبل لاحد بهم .

تلك كانت الافة الفنية التي اعتورت هؤلاء الشعراء الذين لم يكن لديهم حدس منطقي قائم ، ينتظم تجربتهم ويتطور بها تطورا .

الوصف الجاهلي وصف مفاخرة وفروسية

ولعلنا اذ نتمعن بواقع المبالغة الجاهلية، نتحقق ان النزعة المثالية التي تشتمل عليها ليست غاية بذاتها بل وسيلة للتفاخر والتظاهر بالتفوق . فالشاعر يصف فرسه او حبيبته او ناقته او الخمرة التي يشربها ، لكي يتفاخر بها ، ويظهر انها تفوق نياق الاخرين وافراسهم وحبيباتهم فضلا عن خمرتهم . انها وجه من وجوه انانيته وفرديته . ولقد اتضح ذلك غاية الوضوح فى معلقة عنترة ، اذ جعل يفاخر بشربه للخمرة قائلا :

ولقد شربت من المدامة ، بعدما ركد الهواجر ، بالمشوف المعلم
بزجاجة صفراء ، ذات أسرة ، قرنت بأزهر ، فى الشمال ، مفدم
فاذا شربت ، فانني مستهلك مالي ، وعرضي وافر لم يكلم
واذا صحوت ، فما اقصر عن ندى ، وكما علمت شمائلي وتكرمي !

ان نزعة التفاخر تبدو جلية ، خلال هذه الابيات ، ولا بدع فى ذلك ، فان الوصف الجاهلي هو وصف فروسية وتفاخر ، يكاد لا يلم الشاعر بمظهر من المظاهر ، الا اذا كان وجها من وجوه عظمته وتفوقه . لذلك راينا ان جميع ما الم بوصفه يتراءى من خلال اسطورة عظيمة خارقة ، حتى ان السيل او المطر والبرق ، هذه الامور ، جميعا ، كانت سببا للتفاخر واظهار شدة الاحتمال والتفوق . او لم يكن وصف الصحراء ، مع ما نشهد فيه من غلو باظهار وحشتها ، وبعد مغازاتها ، وسيلة لاظهار شدة اليأس ، والاحتمال ، فضلا عن القدرة على ارتياد اعمال ، لا قبل للاخرين بها .

وهكذا ، فان الوصف الجاهلي صدر عن نزعة الانانية فى نفسيته التي كانت تداب للتفوق . لقد كان يفتخر بنفسه من خلال افتخاره بكل ما يمت اليه .

العناية بالجزء دون الكل

ان المرحلة الاولى التي يمر بها البدائي فى تفهمه للكون ، هي مرحلة كلية غامضة ، لا تشخص فيها تفاصيل ، ولا تستقل الملامح بعضا عن بعض . الا انه ينزع ويتدرج من هذه البداوة الاولى ، وتشرع الاشياء تتجزأ وتنفصل فى ذهنه ، وتتحول من كونها وحدة كلية عامة الى مجموعة من الاعضاء والاشكال التي لها وجود مستقل ، فينفصل راس الفرس عن جسدها ، وكل عضو فى الجسد يتخذ وجودا



هنا في قعر كاسي رؤى لا تنضب .

رؤى يحيلها فراغ الكاس، احيانا ، مآتم شفافة تعول فيها غمات من زمن مبتور ، وتعربد حولها بقايا صلوات مجت التحنط ثم الالتصاق بجدران هياكل دأب لبناتها التثاؤب والتغامز .

غير ان في الانفاس الشاردة التي تطوف في فراغ كاسي تطواف محموم .

ضمات لاهبة تذيب امسي الذي كنته ، وغدي الذي احيـــاه الان ويومي الذي ما زال يتسكع الظلمة بقدم واحدة وبنصف عين ، تذيب هذا الكل في صيغوغة من جمال نضاح بالف لـــون ولون ، فاصبح وكاني والقعر والامس والغد واليوم رشفـــة سادرة لحلم لا يعرف الفجر وليقظة لا تفقه اليقظة .

دمشق　　　　　　　　　　　　　　　　اورخان ميسر

معينا مستقلا . وهذه المرحلة التي يتعرف بها الانسان على الكون بالتجزيء والتفصيل ، هي اكثر المراحل طولا ، وهي التي تطبع نفسية البدائيين ، جميعا ، لانها تثير فيها تساؤلا دائما وحاجة ملحة للمعرفة .

والشعراء الجاهليون ، كما بدأ شعرهم ، يعنون بالاجزاء والاشكال المنفصلة ، دون اي ارتباط بما يليها او يسبقهـا فهولا يصف القدم بالنسبة للصورة العامة التي تتمثل بها الفرس والناقة . ولقد ادت هذه النزعة الى ما نشهده في شعر هؤلاء من اضطراب وتفكك ، وفوضى عبر الوصف. فالشاعر يعرض حينا الى الرأس ، ثم ينتقل الى الذنب ، وبعدئذ يتجاوز الى الساق ، ولا يعتم ان يتصدى لوصف لوصف الرأس او الذنب وما اشبه .

لا شك ان لطبيعة البيئة التي لم تتعرف الى الهندسة والمنطق ، اثرا هاما في هذا الواقع الفني . الا انها اقل تأثيرا في طبيعة نفسيتهم التي تميل الى التجزيء والتفصيل ، لانها تكتشف من خلالهما ، الحقائق الجديدة . فالتجزيء والعناية المسرفة بالتفاصيل ، كان بالنسبة للجاهلي صنوا للتجديد ، كما نفهمه في عصرنا . فكما نرى اليوم ، ان غاية الفن هي التعمق في التعبير عن الخلايا النفسية ، المعقدة ، والولوج الى الظلال والتموجات الخفية في عالم الوجدان ، كذلك كان اولئك يرون ان غاية الفن ، هي التعبير عن دقائق الطبيعة ، وتجسيد تفاصيلها وجزئياتها . فالفرق اذن بين التجديد في الشعر القديم والشعر المعاصر، يظهر في تصدي الاول للعالم الخارجي، للطبيعة، بينما يتصدى الثاني، للعالم الداخلي ، للنفس ، واذا عبر عن الطبيعة ، فانما يعبر عنها من خلال نفسـه .

وهكذا ، فان التجزيء في الشعر الجاهلي ، يعني التعمق في اكتشاف نواميس الكون وجزئياته . وليس ما نشهده لديهم من اسراف وامعان بالتجزيء والتفصيل ، سوى محاولة للتعبير عن تجربتهم الكلية . فبقدر ما يجـزيء ويكتشف الخصائص والمشابهات ، بقـدر ذلك يوغل في التجربة . لقد كان التجزيء في نفسيته وحياته ، فكـــان طبيعيا ان ينتقل الى شعره ، لان الشعر ، هو التعبير عن البيئة والنفسية .

وقد يخيل للبعض ان الفوضى التي نشهدها في الوصف لم تكن لدى الشاعر الجاهلي ، وانما تولدت لدى الرواة الذين عبثوا بنظام الابيات ، هذا الراي يبدو وجيها ، عامة، الا ان الدراسة الداخلية للقصيدة ، تثبت ان الفوضى كانت في روح الاسلوب ، ولم يحملها عليه الرواة . فثمة ابيات ظاهرة اللحمة ، بعضا مع بعض ، انتقل الشاعر عبرها ، انتقالا مفاجئا من ملمح الى اخر دون تطور او سببية . ولعل ذلك اشد ما يظهر في انتقال الشاعر انتقالا مفاجئـا عبر البيت الواحد ، فبينما هو يصف ظهر الفرس ، اذا به ينتقل فجاة الى الساق ، واصفا خطوها ، وقد يتنكب الى ذكر احدى طبائعها ، كما في وصف طرفه لناقته ، اذ انتقل من شعر لحبيبها الى شدة ظهرها وسعة خطوها ، دون ان يشخص ، ترابط فيما بينها . ولئن كان بين الخطوة وشدة الظهر نوع من التربط ، فليس ثمة اي ترابط او سببية بين شعر اللحيين وشدة الظهر ، كما ان انتقالـــه من هذا الى تلك ، يدل على ان الشاعر لم يكن يصف ناقة رآها امامه ، وعرفها بالذات ، بل يصف ناقة مثالية ، ينقل اوصافها ، مما يدركه من الخصائص العامة للنياق الجيدة.

الذهنية والتناسخ

ولعل التفات الشاعر الى الاوصاف الذهنية العامة ادى الـى التناسخ والتقليـد في المعاني ، حتى اوشك الشعراء الجاهليون ان يجتمعوا على مثال او نموذج متكرر واحد . فاذا تصدوا للخمرة ، فانهم يترددون جميعا ، بتشابيه وصفات نقلية واحدة . فطيبها كالمسك ، وشعاعها كقرن الشمس ، ونشوتها تغشى الذؤابة ، ودنانها كجماعة مـن السودان العراة . واذا عرضوا لوصف المراة ، اتفقوا على ان عينيها كعيني الغزال، وجيدها كجيده وثغرها كالاقحوان اما اسنانها فكالبرد ، ورضابها كالخمرة ، كما ان قدهـا كالغصن وساقيها كالقصبة وما اشبه . وهكذا ، فان هؤلاء وصفوا فرسا واحدة ، وحبيبة واحدة ، وطللا واحدا . كما ان سائر المواضيع توحدت لديهم ، جميعا ، فاذا فاطمة امرىء القيس ، ونعـم النابغة ، وخولة طرفـة ، تختلف اسماؤهن ، دون ان تختلف شخصياتهن .

ايليا الحاوي

الارض في الخريف

●

فارق الصيف امه الارض فا　　رتاعت وخرت منهوكة الاعصاب
كعجوز جثت على باب قبر　　رثة الوجه والحشى والثياب
نام عنها وحيدها فاقامت　　للتباريح وحدها والعذاب
سئمت ذلة البقاء فجاءت　　تستغيث الردى على الاوصاب
قرعت بابه وقامت لديه　　في وجوم مصيخة للجواب

* * *

اوجعتني الحقول صفراء تبدو　　شاحبات الوجوه جرب الاهاب
كفتاة مصدورة تتعرى　　بيد السقم من رداء الشباب
جلست في العراء تحت شعاع الشمس منبوذة　　من الاصحاب
تستغيث الشفاء فهو رجوع　　لذويها او رجعة للتراب
خيم الصمت فوقها غير صوت　　من فم الريح صارخ بالخراب
تتهادى له الكروم وترمي　　بالقباب الصفراء فوق القباب
والظلال السمحاء تذوي وتطوي　　ظلها عن مجالس الاحباب
ناثرات اوراقها ناعيات　　زمن اللهوى والهوى والتصابي

* * *

ايه بنت العنقود امك بانت　　لهف نفسي لعهدها المستطاب
ادركيني في وحشتي وارمقيني　　من شفوف البلور في الاكواب
سوف القى بك الشتاء وارمي　　افقه بالشهاب اثر الشهاب
واعيد الصيف الحبيب ، واجلو　　وجه لبنان من بطون الخوابي

* * *

ايه يا ارض ما لنفسي تعاني　　ما تعانين من اسى واكتئاب
فأحس الخريف فوق جبيني　　وارتجاف الغصون في اعصابي
وكأن الرياح تحمل اوراقا تناثرن　　من كتاب شبابي
ذهل الناس عن اساك ، أوحدي　　انا يا ارض حفنة من تراب
رحم يوجب المواساة يا ارض فمن لي　　بأن ابثك ما بي
ليتني كنت شهقة في فم الجدول　　او دمعة بجفن السحاب

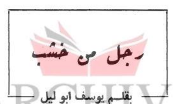
فارس سعد



جبلت ارجل معظم الناس في هذه الدنيا من الطينة التي سويت منها قلوبهم ! اما صديقي (رفيق) فرجله من خشب، وقلبه من ذهب . عرفته طالبا في الصف الرابع الثانوي ، في احدى المدارس الداخلية . وقد اصيب ، منذ صغره ، بحادث ، جعله يفقد رجله ، فدعت الضرورة الى تركيب رجل خشبية له ، ومن ثم ارساله الى مدرسة داخلية . فكنت ترى ذلك الشاب ، الجميل الطلعة ، الطويل القامة ، يقف وكأنه انسان عادي ، لا نقص فيه ولا عاهة ، فاذا سار ، فانه يحرك رجله الطبيعية اولا ، ثم ينقل الرجل الخشبية بصعوبة ، وكأنه يجرها جرا ، وتكاد تخط في الارض ، وكأنها تخط في اعماق قلبه . ويخطو خطوتين ، ثم يتوقف ، ليستريح قليلا ، وينظر حوله ، وفي عيون من يماشيهم ، وفي نظرته معاني التوسل والاستعطاف ، وكأنه يطلب اليهم عدم المضايقة ، اذا ما اعاقهم في المسير. ذاك هو (رفيق) برجله الخشبية القاسية ، وقلبه الحزين الرقيق . وقد استطاع قلبه الكبير ان يسيطر على قلوب اترابه في المدرسة، فاسرهم بلطفه وابتسامته العذبة الخجولة ، مما جعلهم يعاملونه معاملة كبيرهم وزعيمهم ، ويشركونه في معظم مشاريعهم واحاديثهم .

وكان في صفه طالب ، اكلت الغيرة قلبه ، وبانت امارات الحسد في اسارير وجهه . كان (جاسم) — وذاك اسمه — يشعر بان القلوب التي اسرها رفيق بعطفه وانسانيته ، يجد ان تلتف حوله ، وان الزعامة والوجاهة في الصف حق من حقوقه . وكثيرا ما كان يلمح في حديثه الى هذا المعنى ، محاولا الحط من قيمة رفيق في رأي زملائه ، والتشهير به . فقد قال مرة لجماعة من صفه : « من قلة الدولة ، منسلم عالنور . اذا كان زعيمكم تيمورلنك ، فمن تكونون ؟! » . وسأل مرة احد الزملاء المقربين من رفيق : « من يحل رجله الخشبية عندما يذهب للنوم ؟ سمعت انه انعم عليك بهذه الوظيفة ؟! » . ولم يقف جاسم ، عند هذا الحد من الغمز واللمز : فانه لاحظ أن هذا الاسلوب قليل الجدوى، عديم الاثر. فصمم على ان ينتقل من دور الكلام الى دور العمل .

وحدث مرة انه رأى (رفيقا) ينزل الدرج ببطء وتؤدة ، ويستعين على النزول بعصا في يده اليمنى : وراقبه وهو ينزل العصا اولا نحو الدرجة السفلى ، ثم يتوكأ عليها ، ويدلي رجله الخشبية بهدوء، وينحدر بجسمه الطويل نحو الدرجة الثانية ،



رجل من خشب

بقلم يوسف ابو ليل

وكأنه يتدلى في بئر عميقة القرار . وما كان من جاسم الا انه انزلق على الدرج بسرعة مخيفة ، نحو رفيق ، واصطدم به ، ودفعه دفعة قوية اخلت بتوازنه ، واطارت العصا من يده ، وشاهد الطلاب (رفيقا) يتدحرج على الدرج وكأنه كتلة لحمية ، مكومة على بعضها .

لقد مضت سنوات على ذاك المشهد ، ولم تستطع السنين محوه من ذاكرتي . عندما كنا صغارا ، كنا نخرج الى الحقول ، للهو واللعب ومطاردة الطيور والفراش . واذا صادفنا في طريقنا سلحفاة ، كان يلذ لنا ان نقلبها على ظهرها ، ثم نقف



نتسلى على منظرها وهي تبذل المحاولة تلو المحاولة لتعود الى وضعها الطبيعي ، فتخرج رجليها ويديها من قوقعتها ، وتمدها في الهواء ، وتحاول قلب نفسها ، ولكن هيهات! وتظل تدور وتدور حتى تكل وتهدأ . ذكرني منظر صديقي (رفيق) بالسلحفاة وهي تدور وتدور . فقد تحلق حوله عند اسفل الدرج عدد من الطلاب ، وراحوا يتسلون على منظره وهو يدور ويدور على ظهره ، محاولا ان يستند وينهض . ودار عدة مرات ، ورجله الخشبية منتصبة في الهواء ، وهي تدور معه ، وتلف وتلف ، وكأنها سارية شراع عصفت بها الرياح . واخيرا خجل بعض الرفاق على زميلهم واقتربوا منه ، واسندوه ، ووضعوا العصا في يده ، وانسل رفيق مصفر الوجه ، معفر الظهر ، حاني الرأس ، كاسفا ذليلا . واما جاسم فقد توارى بسرعة لمح البصر عن الانظار .

غير ان هذا الحادث اثار اشمئزاز اكبر عدد ممكن من الطلبة ، وجعلهم يتفانون في اظهار شعور الاحترام لرفيق، ولا يخشون من احتقار جاسم بشتى الطرق والمناسبات . وسرت حركة في صف رفيق ، تعاهد فيها الطلبة على مقاطعة جاسم وعدم مرافقته او السماح له بالاختلاط بهم ، وراحوا يتسابقون فيما بينهم على من يكيل له عبارات التحقير والسخرية . وكان من نتائج هذه الحركة ان ازداد حقد جاسم على رفيق ، وراح يتدبر الامر لايجاد السبل لمضايقة رفيق بشتى الاساليب ، وحمله نهائيا على ترك المدرسة . وقد اقسم لاحد اصدقائه القليلي العدد في المدرسة ، قائلا : لن اسمح لاعرج بان ينتصر علي ، سأسحقه واسحق رجله الخشبية التي كسبت له عطف التلاميذ . يجب ان يترك المدرسة . »

ومضت الاشهر ، والحقد يبث سمومه في عقل جاسم ، ويشجعه على

لـــوحـــة

لخالد الشريقي

اللاذقيـــة

تحبك العيون
تحب زرقة السماء ، فى بحيرة العيون
وتحلم العيون
برحلة ، سعيدة ، الى منابع الضياء
لتسرق البلور ، والصفاء
وتجتني الربيع
من وجهك الطفلي ، تجتني الربيع

تحبك العيون
تحب بسمة الشباب ، من جزيرة العيون
وتشتهي العيون
ان تحصد الورود
ان تحصد الورود ، من مساكب الخدود
وتقطف الكرز
وتعصر الدماء
فى مرفأ الشفاه ، تعصر الدماء . .

الانتقام والانتصار . وجاءت المناسبة. وكان ذلك اثناء احدى العطل المدرسية القصيرة التي يعود فيهـــا الطـلاب الداخليون الى بيوتهم ، ولا يبقـى سوى اولئك الطلبة الذين تبعدبيوتهم كثيرا عن المدرسة او الذين لسبب من الاسباب ، لا يستطيعون العودة الـى بيوتهم فى مثل هذه الفرص القصيرة. وبقي رفيق فىالمدرسة ، بينما غادرها جاسم الى قريته .

وفى احدى الليالي ، بينمـــا كان رفيق يغط فى نومه ، اذا به يسمـع حركة غريبـــة ، تدير مقبض بـاب غرفته . ومن طرف خفي لاحظالباب يفتح ، ورأى فى العتمة الساكنة خيالا يدخل الغرفــة . وارتعد رفيـق فى فراشه ؟ مـــن يساعده ؟ الخـادم الوحيد فى المدرسة يقبع فى الطابـــق الاول ، وهو فى الطابق الثالث ، انـه وحده فى الغرفة . والمصيبة الكبرى هي ان رفيقا يخلع رجله الخشبيـة عندما يأوي ، كل ليلة ، الى فراشه ، ولا يستطيع لبسها آلا بمساعدة احـد الزملاء او الخادم. اما رجله الخشبية، فانها هناك ، فى طرف الغرفة الثاني ، على الطاولة . وظل قابعا واحس بأن قلبه توقف عـن الخفقان . وسمـع الخطوات تقترب منه وتقترب. احس بالبرد يعتريـــه ، وبالـدم يجمد فى عروقه . الخيـــال يقـف الان فوق رأسه . ولا شـك انه ينظر اليـه ، ويحملق فيه . وتصنع رفيق بالنوم. وراح نفسه يعلو وينخفض ، وصدره ينخفض ويعلـــو مــــن الرعـــب والقشعريرة . مــاذا عساه يفعـل ؟! وكيف يعارك رجـــلا ، وهو برجـل واحدة . واي سلاح لديـه ! لا شيء! وتذكر فجأة أن العصا التي يستعـين بها على المشي مسندة الى الحائط . ولكـن ؟ ماذا عساه يفعل بالعصـا ؟ وكيف يهاجم لصا بكـل قواه ، وهو برجل واحدة ؟! آه ؟! ذلـك اللص ! انه يقف عند رأسه .

وفجأة احس بلهاث الرجل يقترب من وجهه . نعم ! نفسه الحامي يلهب وجهه . الله ! كـم يود ان يقفــز بوجهه ، ويدق عنقه المدود الان فوق رأسه ! وانقضت دقيقتان والرجـل يحملق فيه ، ويلهث فى وجهه . ثـم احس بالخطوات تبتعد ، ثم تتوقف عند الطاولة ، حيث الرجل الخشبية. وسمع بشيء يسحب عن الطاولـة ، وفتح عينيه . الرجل يبتعـد الان ، ويتجه نحو الباب . وكأن الشجاعـة عادت الى رفيق ، فتجاسر ، ورفـع راسه بحركة سريعة ، وتناول عصاه، ولوح بها ، وقذفها بعنف على الرجل، وصاح صيحات متتابعـة مفزعـة . وسمع شيئا ثقيلا يهوي على الارض. وتطلع . انه الرجـــل . لقد هوى . وسمعت حركات اقدام تصعد الدرج بسرعة وخفة. ودخل الخادم الغرفة، واشعل النور . وتطلع رفيق : فـاذا بالرجل مغمى عليه ، ولا حراك به . وتفرس الخـادم بالرجل وصـــاح : « من ؟ جاسم !؟ ويلك يا رفيق ، لقد قتلت جاسما ! » وتطلـع رفيـق . ودهش الرجلان : فقد كانت الرجـل الخشبية ، رجل رفيق ، علـى صدر جاســم .

عمـــان **يوسف ابو ليـل**

امثال اللبنانيين في الحيوانات

بقلم شفيق طباره

الهـرة

البسين فى لغة عوام اللبنانيين السنور او القط وجمعها قطط وهي كثيرة فى لبنان واشهر اجناسها القطط الاستنبولية وتمتاز بشعرها الطويل واشكالها الجميلة . والمعروف ان لهذا الحيوان عند العوام منزلة خاصة فهم يتجنبون قتله ويعتقدون انه يتمتع بقوة سحرية تعرض من يقتله لكثير من الشرور والمخاطر . وقيل ان هذه العقيدة اتصلت بهم عن الفراعنة وحافظوا عليها على مر الاجيال . ويخبرنا التاريخ ان المصريين القدماء كانوا يعبدون اله الحب بدنه بدن انسان ورأسه رأس قطة . وكان قضاؤهم يعاقب بالموت من يقتل احداها . ولقد افاض الرحالة « هيرودوت » فى وصف تقديس قدماء المصريين للقطط وقال ان من عاداتهم ان يحلقوا شعر لحاهم علامة الحزن عليها ويقول علماء الاثار انه كان للقطط مقابر خاصة فى (منفس) عاصمة مصر القديمة وقد اقتدى العرب بجيرانهم فى ايام الجاهلية فاتخذوا من الاصنام صنمابرأس قطة وعبدوه .

وما تزال العامة عندنا تحيط هذا الحيوان بالعطف وتعتبره مزودا بسبعة ارواح وان الجان تتلبس اجسام القطط وتظهر باشكالها وان القطة تقع من حالق مرة ومرتين فلا تموت وانها ان وقعت فلا تقع الا على اطرافها لان الجان تحفظها من خطر السقوط . ويقولون (فلان مثل البسين كيفما رميته بيجي واقف) ويضرب للداهية يجيد تدبير الامور و (فلان مثل البسين بسبعة ارواح) ويطلق على من نجا من الموت قضاء وقدرا . ومثله قولهم (روحه طويلة مثل روح البسينات) ومن اساطير الاولين ان القطط وجدت من عطسة اسد قال الجاحظ : زعم بعض المفسرين والرواة ان اهل سفينة نوح اضر بهم الفأر فعطس الاسد عطسة فرمى بزوج من السنانير فكان السنور اشبه شيء بالاسد. وقال كسبان : يحق ان يكون هذا السنور (آدم) السنانير وتلك السنورة حواءها . . .

وفى باب الرفق بالحيوان ذكروا ان النبي العربيخص هذا الحيوان بالرفق وقال (عذبت امرأة فى هرة سجنتها فلم تطعمها ولم تسقها حتى ماتت) وروى الرواة ان قطة جلست يوما على طرف ثوبه فتملكها النعاس ثم لما حان وقت الصلاة لم يشأ عليه السلام ان يوقظها من رقادها ويحرمها لذيذ النوم فقص طرف ثوبه حيث كانت جاثمة وذهب للصلاة ولما عاد انتبهت القطة فكأنها ادركت ما حصل فصارت تلتصق به علامة الشكر والامتنان فربت عليها ثلاث مرات (1) .

وقد مر على عامة البيروتين زمن كانوا فيه يتنافسون فى اطعام القطط لاعتقادهم ان ذلك من الثواب . ومما يذكر من امرهم انهم اوقفوا ما فاض الله عليهم من الرزق لاطعام بعض الحيوانات الاليفة ومنها الكلاب والقطط وغيرها . وخبرني من اثق بكلامه انه ما يزال فى مدينة حلب خان يسمى (خان القطط) تأوى اليه القطط من كل حدب ويعنون باطعامها من صدقات اهل البر والاحسان .

ومن امثال عوام اللبنانيين (اللي بيلعب مع البسين بدو يلقى خراميشو) الخرامش الاظافر ومعنى المثل : من يريد ان يخاصم الناس عليه ان يتحمل اذاهم و(مثل البسين بالجراب) ويطلق على المغفل و(قالوا للفارة فى جبنة على شوارب البسين قالت لهم : الجبنة طيبة ولكن دربها خطر) ويروى (قالوا للفارة خذي مجيدي وامشي على شوارب البسين . قالت لهم : المجيدي حلوة لكن طريقها خطرة) ويضرب لمن يشتهي حاجة ولكن دون الفوز بها اهوال . (وقعت الفارة من السقف قالت لها البسينة : اسم الله ! قالت لها : شيلي ايدك عني وانا بألف خير من الله) وشيلي ا يارفعي ويروى (شيلي ايدك عني وما عليكي مني) ويضرب لمن يظهر المودة ويبطن العداوة و(شكرنا القط بال بالطنجرة) ويضرب فى عادة السؤ يدعها صاحبها ثم يرجع اليها . ويقولون (الناس بالناس والقطة بالنفاس) والنفاس ولادة المرأة ويضرب لمن يشغل نفسه بالتافه من الاشياء عن الامور الجسام وللاناني لا يهتم الا في شخصه . و (شتي مطرح البسين وصيف مطرح الكلب) والملمون بعادات الحيوانات يعرفون ان البسين يميل الى الدفء وغالبا ما نراه قابعا قرب الموقد بينما يربض الكلب فى المكان الرطب فينشد الظل فى فناء الدار ويضرب المثل فى الحض على اختيار الموضع الملائم الذي تتوفر فيهالراحة والعيش الرغيد . ويقولون (ترهب البسين) للسخرية والاستهزاء ممن يبدي خصالا محمودة ولا خلة فيه مرضية. و(بسين الخصرمة كل عمره متعلس) متعلس اي ضعيف غير الموفق فى صحته او فى اعماله لان مواليد القطط تكون فى وقت ظهور الحصرم (اي فى شهر حزيران) ضعيفة البنية لانها تلد فى غير اوانها. ويقولون (البسين بيأكل عشاه) يضرب للغبي المستكين المطواع . ويقولون (مثل القطة والفارة) ويطلق لاثنين نشبت بينهما العداوة والبغضاء حتى اصبحت مضرب الامثال و (غاب القط العب يا فار) يعني متى غاب صاحب العمل عن عمله اهمل العمال اعمالهم وفسد العمل . ويضرب المثل فى حث اصحاب العمل على مراقبة عمالهم لضمان نجاح اعمالهم و(مطرح ما بيكون فيه بسينات بيكثرو الفيران) و(متى اتفقوا القطط والفيران بيخرب دكان السمان) وقريب من هذا قولهم (اتفق القط

(1) كتاب فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب

والفار على خربان الديار) ويضرب في تهادن عدويـــن وتعاونهما على الفساد كالقط. فهو بدلا من ان يقضي على ما في حانوت السمان من فيران يتواطىء معها فينصرف الى التهام المأكولات التي يزخر بها هذا الحانوت و(مثل البسين بياكل ويذم وبيبول ويطم) ويضرب المثل للئيم المفــرط البخل لا يرجى نفعه. وهذا مثل قولهم (قالوا للبسين خراك بينفع صار يبحش ويطم) واصله ان جماعة القطط رات ذات يوم بعض الناس يبحثون عن روثها لتستخدمــه في صناعة دبغ الجلود فصارت منذ ذاك تنبش التراب ثـــم تخفيه في حفرة عن اعين الناس لتحرمهم الانتفاع به و(بنوس مثل البسين الاكل دود) بنوس اي يعتل . ويضرب المثــل لمن تغير حاله وساءت صحته وقضى صريع شهوته والمعروف عن الفيران انهاتهوى دود القز ولحمايته منها درج العــوام على اقتناء القطط لصيدها انما الملاحظ ان بعض القطط تستطيب بدورها دود القز فتكثر من اكله فتعتل ويشتد هزالها فتموت . و(الكلب يقول : الله يكثر وليداتهم تآكل لقيماتهم والبسين يقول : الله يقطع وليداتهم تاقعـــــد بخضيناتهم) وهذا المثل يوضح ما اشتهر عن وفاء الكلب وبره وخبث القطط وغدرها فالاول يتمنى السعادة للاخرين ليصيبه شيء منها بينما القطة تتمنى موت الاخرين طمعــا في ان تستأثر بخيراتهم .

وقد اختلفت صفات الكلب في امثال العرب . ففي بعض تنبهم (٢) : (ألام من كلب على جيفة) و(احرص من كلب) و(آلف من كلب) و(اخسأ من كلب لا هو يعتلف ولا هــو يترك الدابة تعتلف) وفي القرآن الكريم (فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث) وعد الكلب في الشريعة الموسوية من الحيوانات النجسة . وكان مزدرى به اكثر من غيره حتى لما اراد سليمان اظهار قيمة الحياة قال (الكلب الحي خير من الاسد الميت) (الجامعة ٤:٩) . وبالرغم من ان القدماء كانوا يستخدمون الكلب لحراسة القطعان فقــد كانوا يزدرون به ويضربون الامثال بدناءته وشراهتــه (٣) وعدم امانته . ومن اشد التشبيهات دلالة على نجاســة الكلب ما قاله سليمان في الامثال عن الجاهل (كما يعود الكلب الى قيئه هكذا الجاهل يعيد حماقته) .

ويقولون (البسين المخرباني يخاف من طقة البــاب) ويضرب للمجرم القلق لما يقاصي من عذاب الضمير و(شباط شهر القطاط) ففي هذا الشهر تبحث ذكور القطاط عــن اناثها و(مثل البسين عالجرن) ويضرب لمن يظهر المسكنة طمعا في جر مغنم على شاكلة البسين الذي يجلس في هدوء قدام صاحبة الدار وهي تدق اللحم في الجرن طمعا بــأن تراف بحاله وترمي اليه بقطع اللحم و (لا تقتنــي البسين ولا الخادم اكثر من سنتين) لان من الخدم من اذا سكــن طويلا في خدمة اسياده ترتفع الكلفة بينه وبينهم وكثيرا مــا يستغل هذه الالفة فيهمل عمله ويغفل عن واجباته كالبسين الذي بسبب طول مقامه في دار مقتنيه يعول على فضــلات موائدهم بدلا من ان يبذل اهتمامه لمطاردة الفيران .

الحمـــار

الحمار حيوان اشتهر بالصبر واحتمال الشدائد .وهذه الخصال جعلت منه رفيق الفقراء والمتواضعين لانه يأكــل طعاما قليل الثمن ويقوم باعمال شاقة وينفع صاحبه نفعــا بليغا . وهو كثير الوجود في لبنان واشهر اجناسه الحمير القبرسية وهي المجلوبة من جزيرة قبرس . وقديما في زمن ايوب كان الحمار اغلى ثمنا من العبد وكان الاوائل يقدرون ثرواتهم بقدر ما عندهم من الحمير وقد ورد ذكر الحمار في السير المقدسة وروى عن شمشوم انه قبض على فــك حمار وضرب به الفا من الفلسطينيين وصرعهم ومكتــوب في التوراة ان الله الهم حمار بلعام النطق وانطقه الحكمــة وقال حين انهال صاحبه على رأسه بالعصا (ماذا صنعت حتى ضربتني او لست حمارك الذي ركبت منذ وجــودك حتى هذا اليوم هل تعودت ان افعل بك هكذا) وفي سفــر التكوين ان عانة من ولد سعير الحوري كان يرعى حمير ابيه زيون وكان اميرا . وكان القديس اوغسطين اذا تكلــم عن جسده يقول (اخي الحمار) لانه في حكمه هو حيوان كسائر فصائل الحيوان . وفي التاريخ ان السيد المسيح حين اتــم النبوة دخل اورشليم على اتان وجاء في القرآن الكريــم (والخيل والحمير والبغال والجمال لتركبوهاوزينة وتحملوا اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس) ومروان بن محمد اخر خلفاء بني امية لقب بمروان الحمار نظــرا لشجاعته وثباته وصبره في المواقف . اما الاتان فكانت اكثر قيمة من الحمار لحسن طويتها للركوب ولجودة لبنهــا للطعام ولانعاش المرضى ومع كل ذلك فما زال هذا الحيوان ضحية نكران جميل الناس الذين ما زالوا يصفونه بالجهل والغبـــاوة .

وقد استعار اللبنانيون اسم هذا الحيوان في امثالهـــم فقالوا (قالوا للحمار اهلك عم يندهولك قال : يا على حطب يا على مي) يندهولك اي ينادوك المي ماء وهذا مثل قولهم (عزيمة الحمار على العرس) ويضرب المثل للذي يمتهن في الامور وللغبن الذي يلحق المرء بسبب اقاربه واصحابــه . ويقولون (عزموا الحمار على العرس بكى تا يحملوه حطب) ويضرب للذليل يختار الهوان على الكرامة ويرضى بعيش البهائم . ومثل قولهم (حطوا راس الحمار على المائدة وقع وتمرمغ بالتراب قالوا : خلوه يتمرمغ طبعه ما بيتغير) . ويقولون (حمار العين وعطشان) ويضرب لمن يجتهد من غير طائل على شاكلة الحمار يكد طول النهار وينقل قرب الماء من العين الى بيوت الضيعة فيظل ظمآنا لا ينوبه شيء منها . و(حمير الفواخرة لا بالهدني ولا بالاخرة) هالدني اي هذه

(٢) راجع كتاب الامثال لفريتاغ . وكتاب التهذيب لابن السكيت وكتاب البخلاء للجاحظ. وكتاب الامالي القالي وكتاب المزهر للسيوطي وكتاب عيون الاخبار لابن قتيبة وكتاب مجمع الامثال للميداني .

(٣) الكلاب شرهة لا تعرف الشبع انجيل اشعيا ٥٦ عدد ١ و١١

الدنيا ويضرب المثل لسيء الحال . الفواخرة جمع فاخورة وهو المكان الذي يصنع فيه الاواني الفخارية كالجرار والاباريق وغيرها . و(مثل الحمير اولتهم للعذاب واخرتهم للكلاب) وذلك لان من عادة القدماء اذا مات لهم حمار ينقلون جثته الى البرية لتأكلها الضباع وبنات آوى والكلاب والعقبان ويضرب المثل لمن يعيش مهانا ويموت فقيرا . و(حمار موالف ولا غزال مخالف) اي ان من يألف الناس ويخالطهم خير ممن يخافهم وينفر منهم . و (لا يحل حمار ولا يربط جحش) ويضرب لمن لا خير فيه ولا يصلح لامر و(عمرو العدو ما بيصير حبيب ألا تيصير الحمار طبيب) ويضرب فى المستحيل . و (بيلهي الحمار عن عليقه) ويضرب لمن يخدع الناس بالكلام الطيب . و(اللي بيعمل حمار البطو) ويضرب فى الحض على رد الاساءة الى المسيء ومقابلة العدوان بمثله و (مثل الحمار كيف ما درته بيندار) ويضرب لسريع الانقياد والتصديق والتأثر و(مثل حمار الزيات كل ما عيطو لصاحبه بيوقف) ويضرب للساهي الغافل و (واحد بسوق الحمير وواحد بغنيلو) ويضربعند اختلاف الاهواء و(صوته مذكور بالقرآن) ويقال عند الهزء برجل صوته مزعج تلميحا لما جاء فى القرآن الكريم (ان انكر الاصوات لصوت الحمير) (سورة لقمان) و(اربط الحمار مطرح ما بيقولك صاحبه) ومعنى المثل : امتثل لامر صاحب العمل و(الحمار فضح الكذاب) واصل المثل ان رجلا طلب ذات يوم من جحا ان يعيره حماره فاعتذر له جحا وادعى انه ارسله الى المطحنة وفجأة نهق الحمار من فناء الدار فتعجب الرجل وقال لجحا : اليس هذا حمارك الذي يملأ الاجواء بصوته ؟ . فقال له جحا غاضبا : اوتكذبني وتصدق الحمار ؟ فقال الرجل : الحمار فضح الكذاب وذهب قوله مثلا .

وقريب من هذه النادرة ما روى عن رجل انه ذهب لزيارة احد معارفه فشاهده قبل طرق الباب يطل من نافذة المنزل وعندما سأل عن الخادم قال : لقد خرج سيدي فى نزهة طويلة . فقال الزائر : سلم على سيدك وقل له يقول لك فلان عندما تخرج الى النزهة فى المرة القادمة فلا تترك رأسك على النافذة . . .

و (مثل اللي مضيع حمار حماته انلقاه بيغني وان ما لقاه بيغني) ويضرب لمن تساوى عنده الخير والشر او لمن يخرج من الامر سالما لا له ولا عليه . ويقولون (الخان ضيق والحمار لباط) ويضرب عند تعذر الامور ولمن وقع فى نائبة لا مخلص له منها و(اللي طيلع الحمار على المأذنة بينزلوا) اي من يرتكب امرا وخيم العاقبة عليه ان يتحمل مسؤوليته ويصلحه بنفسه واصل المثل ان رجلا ادعى ان فى مقدوره ان يصعد حمارا لمأذنة الجامع ولما اقدم على هذا الامر ثار الناس لرؤيتهم الحيوان فوق المأذنة وحاولوا انزاله فلم يفلحوا فقال لهم قائل : اللي طيلع الحمار على المأذنة ينزلوا فقصدوا الرجل فحضر وانزل الحمار بواسطة الحبال .

وذهب قول الرجل مثلا . و(قوة الصوت لو بتنفع كان الحمار ابتنى علالي) ومعنى المثل ان الكلام لا يقاس بقوة صوت قائله اذ لولا ذلك لكان الحمار وقد اشتهر بصوته الذي يقرع الاسماع اغتنى وبنى دارا ذات العلالي كدور الاغنياء . ويضرب المثل لمن يكثر الكلام ويعتمد على صوته الجهير بدلا من أن يقحم سامعه بالحجج والبراهين .

و(حلاوة الكار بغل وحمار) وهذا جل ما يتمنى اقتنائه المكاري . و(لا تربط الحمار جنب رفيقه يا بعلموا الشنهقة يا بياكل عليقه) الشنهقة اي النهيق ويضرب فى النهي عن مصاحبة اهل السوء و(كل شيء يشبه قانيه حتى الحمار واللي شاريه) ويضرب للرجل يدخل فى القوم فيأخذ بزيهم وطباعهم . ومثله قولهم (كل من على بابه يشبه اصحابه) ويقولون (اللي ما فيه على الحماره بعض الضهارة) الضهارة البردعة وهي كساء يلقى على ظهر الدابة . ويروى (ما قدر على الحمار عض البردعة)ويضرب لمن لا قدرة له على خصمه القوي فيتصدى لمن هو اضعف منه و(مثل اللي يسلي الحمار بقشر بطيخ) ويضرب لمن يتلهى بالعرض دون الجوهر . و(سطل بلا علاقة حمار بلا ودنين) والسطل اناء من نحاس له عروة اي علاقة يحمل بها . و(كبر الحمار وصغرت البردعة) ويضرب للسخرية من ولد لم تعد ثيابه تصلح عليه ويضرب ايضا لمن عز بعد الذلة وكثر بعد القلة . و(حمار اللي ما بيحصل عليقه قنوتو ليش ؟) قنوته اي اقتنائه وليش اي لم ؟ ويضرب لمن عرف بالبلادة ولا يسعى فى طلب رزقه و(حمار) كلمة تطلق مسبة لقليل الفهم . و(بعد راسي لا راس يعيش وبعد حماري لا ينبت حشيش) ويضرب فى عدم المبالاة ولمن لا يخاف عاقبة عمله وهذا قريب من قولهم (جحش ونزلنا عنه ايا من ركبو يركبو) ويقولون (اللي يقتل حمار العرب بيتكفل بحمل القرب) ومعنى المثل ان كل انسان مسؤول عن اعماله والقرب جمع قربة وهي وعاء مصنوع من جلد حيوان وغالبا من جلد المعزى ويستعمل للماء كما ان الزق للخمر والزيت . و(تعلم البيطرة بحمير الاكراد) ويضرب لمن يتعاطى ما لا يحسنه واشتهرت حمير الاكراد بقذارتها لفقر حال اصحابها و (انا امير وانت امير ومين بسوق الحمير) اي اذا نصب كل منا نفسه رئيسا فمن ترى يكون الرعية ويضرب فى التصدير للرياسة . و(لا تستأجر حمارة وصاحبها بالحارة) وذلك لئلا يضايقك بملاحظاته واعتراضاته وغالبا ما يطلق المثل بمعنى لا تستأجر بيتا يسكن فيه صاحبه للسبب ذاته . و(قوت عجلك نير وكبس جحشك صغير) اي أطعم عجلك وهو صغير ومرن حمارك وهو صغير لان العجل لا يصلح للعمل الا بعد سنة من ولادته بينما يقف الحمار الصغير على قدميه منذ ولادته . ومعنى المثل : ان سبيل التربية تختلف باختلاف الاولاد ولا تنطبق عليهم سواء . ولذا يجب أخذ مؤهلات كل منهم واستعداده بعين الاعتبار .

ويقولون (مدري حمار مين بدو يموت) ويضرب لما ندر

خدوثه كالبخيل اذا جاد بماله او المدمن على المخدرات اذا امتنع عن تعاطيها . و(التكرار يعلم الحمار) ويضرب في الحث على المداومة فان فيها اكتساب الخبرة والظفر بالمراد و(مثل حمير البيض ما بتدفى الا بالسنة مرة) وذلك لان الحمير البيضاء اللون لا تنعم بالدفء الا في آب . وهـو الشهر الذي يشتد فيه الحر ويأتي مرة في السنة . و(مثل الحمار اللي كان يرعى بالنقلة وغنى مواله) واصل المثل فيما يزعمون ان الجمل والحمار اصطحبا وهربا وتغلغلا بين الزرع وطفقا يأكلان منه حتى امتلأا فقال الحمار للجمل : اريد ان اعرب عن انشراحي بالنهيق فما قولك ؟ فاجابه الجمل : اياك ان تفعل لان صاحبنا اذا سمع صوتك استدل علينا . الا ان الحمار لم يستطع ان يملك نفسه فطفق ينهق حتى سمعه صاحبه فأقبل واقتادهما بعد ان اشبعهمـا ضربا . ويضرب المثل في تأصل العادة وتحكمها في الخلق . و(مثل حمار المطران) ويضرب لمن لا يستقر على حـال لان من عادة المطران ان يتنقل في قرى الجبل لتفقد ابنـاء رعيته راكبا دابته فيوقفها بين الفينة والفينة ليتلقـى ترحاب مواطنيه ولهذا ضرب المثل بحماره في عدم الاستقرار او لمن سمن وحسن حاله .

الجمـــل

الجمل حيوان معروف في الشرق وهو ذو منافع كثيرة وقد ذكر علماء الحيوان ان معدته مقسومة الى حويصلات تمتلىء عند شربه ماء يكفيه مدة تختلف بين العشرين والثلاثين يوما والجمل يستمر نحو ربع ساعة بشرب اما طعامه فأغصان الاشجار والشوك والعشب وغيرها وهذه الصفات تؤهله لسكنى البرية والوعر وتناسب نوع الاعمال التي يستخدم لها . والجمل صبور على التعب واقدر من الحمار على حمل الاثقال ولذا شبهت الجمال في الصحارى بالمراكب في البحار وقد اهلت العناية الجمل لاعمال شاقة كنقل البضائع في الصحارى المقفرة فلحمه ولبنه للاكل وشعره لنسيج الثياب وجلده لعمل الاحذية والسيور والاجربة وقرب الماء وزبله للوقود وهو يعمر من الثلاثين الى الاربعين سنة ولكثرة منافعه اعتبره العرب (نعمة من نعم الله) وما زالت القبائل في الصحراء تعد ثروتها بعدد ما تملكه مـن جمال واستخدمه تجار الشرق لنقل البضائع والافــراد للركـوب .

وذكر في العهد القديم ان ملكة سبأ اتت الى اورشليم بموكب عظيم جدا وبجمال حاملة الهدايا والاطايب . وذكر كذلك عن ايوب انه كان له الفا جمل وقال المؤرخ ديودورس ان العرب في الحرب كانت تستخدم الجمال وكان الفارسان منهم يركبان الجمل الواحد ظهرا لظهر فيحمي احدهمـا ظهر الاخر كرا وفرا وورد ذلك ايضا في مؤلفات هيرودوت. والعرب هم الذين ادخلوا الجمال الى لبنان . واستعـار اللبنانيون اسم الجمل في امثالهم .

فقالوا (الجمل لو بشوف حردبته كان وقع وفك رقبته) الحردبة أي الحدبة او السنام في ظهر الجمل ويضرب المثل لمن يلهج بسقطات الناس وينسى معايب نفسه ومثله مـا جاء في انجيل لوقا اصحاح ٦ عدد ٤١ (لماذا تنظر القذى الذي في عين اخيك واما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها) ويقولون (قالوا للجمل شو صنعتك ؟ قال : كباب حرير قالوا له : باين على ايديك الطايعين) ويضرب في الهزء بالدعي يتولى أمرا لا يحسنه و (بعت الجمل فلا اسفا على الرسن) يقوله من نكب بخسارة جسيمة فلا يأسف ان حلت بـه خسارة طفيفة و(بغب غب الجمال ويقوم قبل الرجال) ويضرب للشره و(مثل شخاخ الجمال كلمالو لورا) الشخاخ في كلام العامة البول و (كلمالو) اي دائما لان الجمـال تبول الى خلف وتخالف في الجهة مبال كل الحيوانات . ويضرب المثل للشيء ينتقل من سيء الى اسوأ . و(ياما هالجمل كسر بطيخ) ويضرب في احتمال الامور والصبرعليها ويضرب ايضا في عدم المبالاة لان كثيرا ما يتكسر البطيـخ المحمل ظهر الجمل فلا ينزعج لهذا الامر .

ومثله قولهم (شو عبال انفه من هدير البحر) وانفـه قرية على الساحل اللبناني (محافظة الشمال) تعود اهلها سماع هدير امواج البحر فلم يعد يزعجهم صوتها . ومثله قالت العرب (القصاب لا يهوله كثرة الغنم رواه الميداني وذكر بعض المؤرخين انه لما عزم الاسكندر على ملاقاة عدوه داريوس قيل له ان داريوس يملك ثمانين الف محـارب فاجابهم الاسكندر : القصاب لا يهوله كثرة الغنم فذهب قوله مثلا .

و (مثل الجمل بياكل حمله) ويضـرب للمبـــذر ماله و(يعطي من الجمل ادنه) ويضرب بالبخيل الشحيح الذي يجود بالشيء الحقير وفي ذلك قالت العرب (اعطاه من الشاة اذنها) رواه الميداني . و(جمل بفلس وفلس ما في) ويضرب عند رخص الحاجات وندرة الدراهم و(المستعجل ما بسوق جمال) ويضرب في ترك التواني في السعي وعدم الركون الى الكسل . و(عرج الجمل من شفته) ويضرب لمن يعتل بما لا علة فيه . و(كل الجمال بتعارك الا جملنـا بارك) ويضرب في التذمر من سوء الحال ومثله قولهم (كل الدبب رقصت الا دب المزرعة) والمزرعة قرية في اعالي جبل لبنان عرفت بكثرة الدببة في خراجها . و(حوشناهم حبة حبة اجا الجمل غبهم غبة) ويضرب في المال يجمع بكد ثـم تبدده الورثة على اهون سبيل و(طل الجمل من الشباك قالوا له : اوعا توقع قال لهم : لسه الثقل لورا) الشبـاك النافذة . ويضرب المثل لاول الشر ينتظر بعده شر اعظم . و(اللي بدو شعره من الجمل بنخيه للارض) ويضرب في تيسير الامور بالملاينة والحيلة لان الجمال عندما يركع جمله لتحميله تظهر على هذا الاخير سمات الغضب وقد وصفه المؤلفون القدماء كأرسطو بانه سيء الخلق ولا ينسى الاساءة وانه سريع الانتقام وضربت العرب به المثل في الحقد فقالوا (احقد من جمل) .

اغنيتان

اذا الفجر مد الضياء
وطار الفضـاء
بأجنحة من غناء
فتحت شبابيك روحي وقلبي
لمطر الهواء
وغمست فى الافق انظار حبي
لفجر الضيـاء
وفى رئتي امتلاء
سمائي حـره
وارضي حـره
وعند الربى قريتي مستقره
تطل على ذهب اخضر
تموج الحقول به فى انتشاء
وتسكر من روحها المسكر
بلادي ابتسـام
وحرية وسـلام

اذا ازبد افق وزمجر بحر
واوغل فى الصمت والذعر بر
وروع اطياره المائدات
مساء غضوب الدجى مكفهر
وجلجل صوت رهيب .. رهيب
: انا الحرب .. فلتصمدوا او تفروا
سمعت الملايين صوتا تهدج
فى قبضة الرعب : اين المفر ؟
وقلبت فوق امتداد الدجى
على جزع بصرا لا يقر
تخطفت السحب الجازعات
نسور حديدية تستحـر
تزمزم وهي انقضاض مبيـد
وموت مطير وهول وذعر
وصوت الخرائب يدوي ويدوي
: انا الحرب .. فلتصمدوا او تفروا
وكل الملايين صـوت تهـدج
فى قبضة الذعر : اين المفر ؟
«انا الحرب» فاحتدت الارض غضبى
وصاحت به : وانا لك قبر !.
... خراب .. خراب .. وارض يباب
ودنيا عليها الفناء يجر
وصرح من المعجزات الضخام
يحطمه ــ مثلما شاد ــ فكر

عـدن **لطفي جعفر امان**

ويقولون (الجمل غرق والبعر فاش) وفاش يعني طاف وعام وتأتي هنا بمعنى ساد ويضرب المثل للقوم الكرام يسودهم اللئام . و(بفلي الجمل وبيعرف كم وبرة فيه) فلى الجمل اي نقاه من القمـل وتأمله ويضرب للحريص و (جمل مطرح جمل يبرك) يقال للمداعبة والتورية لرجل يقدم على قوم قاعدين وفى مناسبة يهم رجل من بينهم بالنهوض للانصراف فيتخذ الداخل محله من فـوره . ويقولون (لا تسمي الجمل تا يقوم بحملو) ومعنى المثل : لا تحمد احدا قبل أن تختبره ويراد بالتسمية هنا قول عبارة باسم الله وما شاالله فى باب الاعجاب . ومثله قولهـم (لا تقول الله عانو حتى يفك شنتيانو) عانو اي عانـه والشنتيان اللباس. ويضرب عند اعطاء المريض مسهلا وهذا مثل قولهم (لا تقول فول تا يصير بالمكيول) ويقولون (نقطة عمل بترمي جمل) ويضرب للشيء الصغير يحدث منه امر عظيم وقالت العرب (ان البعوضة تدمي مقلة الاسد) . ويقولون (اللي بيعمل جمال بيعلي باب داره) يعني من يطلب الزعامة عليه ان يكون سخيا ليمتلك قلوب النـاس تشبها بالاثرياء اصحاب الدور ذات الابواب العالية . ومثل قولهم (اللي بدو يزرع الشوك ما بدو يمشي حـافي) و(اللي بدو يروح على الطاحون ما بدو يحسب حسـاب الغبرة) ومعنى المثل : من يريد ان يفوز بالمغانم يجب ان يتحمل المتاعب ولا يهابها . و(بيعمل الحبة قبة والجمـل جبل) ويضرب للسخرية من رجل يبالغ فى حديثه ومثلـه قولهم (بيبني على زبيبة خمارة) ويقولون (ما ضيق الخان الا ناقتي وانا) قاله جمال دخل ذات يوم الى خان فلم يجد مكانا واعتذر صاحب الخان عن ايوائه فردد الجمال هذا المثل ويضرب فى خيبة الامل والاستهزاء بالضعيف. ويقولون (بزت الابرة وبيبلع الجمل) زت اي رمى ومعنى المثل انـه يستغني عن الاشياء الصغيرة طمعا فى ما هم اعظم منهـا ويضرب فى ذم الطمع والجشع وضده يقولون (بيخرب جامع تيبني مأذنة) .

شفيـق طبـاره

عنترة من خلال معلقته

بقلم محمد خير الحلواني
ليسانسيه فى الادب العربي

اما هنا فعنترة مثال عن الشباب الجاهلي ، ولكنه الشباب الحازم الرصين ، لا العابث اللاهي ، مثال عن الابطال الجاهليين الذين يعيشون على منابت البادية واطراف الصحراء ، فتفرض عليهم هذه البيئة انواعا من الصفات كالشجاعة والكرم والنجدة والاباء ، كما تتيح لهم فراغا من الوقت لا يضنون فيه على نفوسهم ، فيجرعون الخمرة صافية وممزوجة ، وقد تدور عليهم ساقية بضة المتجرد ، على غرار ما يقول طرفة فى معلقته .

الا اننا حين ننظر الى هذا الجمع الغفير من ابطال الجاهلية ، لنميز منهم عنترة بن شداد ، نجده واضح المعالم ، بارز السمات ، لا يكاد يخفى على ناظر او متفرس ، فهو يتميز منهم بلونه الاسود ، مع رهط قلائل من الابطال ، سماهم معاصروهم « الاغربة » وقد عرفوا بالبطولة وشدة البأس ، والخفة فى القتال (١) .

المخمور الجواد

لم تكن الخمرة فى الجاهلية مجلبة عبث ولهو فحسب ، بل كانت كذلك داعية للصراحة والجد ، يحتاج اليها العربي ايام الحرب لتبعث فى نفسه النشوة والنشاط ، وتثير فيه الحمية والجراة ، ويشربها ايام السلم ، فيجود ويكرم ، كما يلهو ويعبث .

وعندما ينصر عنترة المخمور نجده لا يزال فى صحوه على الرغم من تناوله الخمرة ، ولا يزال يتذكر نفسه الابية التي تأبى النقص ، وتنفر من الشين ، فهو لا يشرب الخمرة الا بدراهمه المجلوة المعلمة :

ولقد شربت من المدامة بعد ما ... ركد الهواجر بالمشوف المعلم

والا بزجاجة مخططة تصفي ما فيها من شراب :

بزجاجة صفراء ذات اسرة ... قرنت بأزهر فى الشمال مفدم

ثم هو بعد ذلك ينفق ماله على المعتفين والطالبين ، ويهين ماله ليحفظ عرضه ، ويصون شرفه :

فاذا شربت فانني مستهلك ... مالي ، وعرضي وافر لم يكلم

وصفة الكرم التي يذكرها عنترة فى حال سكره ، ليست عارضة تزول ، او وقتية تنقضي ، ولكنها ثابتة راسخة فيه ، فهو لا يجود ايام سكره فحسب ، ولكنه يجود صاحيا كما يجود مخمورا :

واذا صحوت فما اقصر عن ندى ... وكما علمت شمائلي وتكرمي

واذا تذكرنا ان النقاد القدامى قد اخذوا على طرفة بن العبد قوله فى رائيته الكبيرة :

فاذا ما شربوها وانتشوا ... وهبوا كل أمون وطمر
ثم راحوا عبق المسك بهم ... يلحفون الارض هداب الازر

لانه وصف الفتيان بالكرم وقت سكرهم فقط ، استطعنا ان نستشف صفة جديدة فى عنترة ، هي الشك القاوي فى قرارة نفسه فى ان سامعيه لا يأبهون له ، ولا يؤمنون به، او انهم يتعالون عليه ، فكأن شبح « زبيبة » امه لا يزال ماثل الطيف امام عينيه ، يحمل اليه ملامح الوضاعة ، وامارات العبودية ، ولهذا فهو لا يريد ان يترك ثغرة ينال منها ، فاذا به يلح الحاحا شديدا على اظهار الصفة التي يريد ان يذكرها لنفسه .

هذا كله يظهر لنا عنترة الشاب الذي لا يضن على نفسه بلذات الدنيا ، ومباهج الحياة ، ولكنه لا يسرف فى ذلك ، ولا يتورط فيه ، كما فعل غيره من شعراء الجاهلية كالاعشى وطرفة ، فهو يتخذ الخمرة كما كان يتخذها سادة العرب الكرماء ، اصحاب الاحلام الراجحة ، والايدي الندية، يشرب ليجود ويستهلك ماله ، ولكنه يبقى على حذر من الامر ، فيصون سمعته ، ويضن بعرضه ان يدنس او يجرح .

الشجاع المحب

وامثال عنترة الذين ينقمون على معاصريهم ، وعلى مفهومات مجتمعهم ، يداخلهم نوع من الاعتداد بما وهبوا من صفات ، او يداخلهم الشك فى قيمة الاقران والنظراء ، وهم يحصون لانفسهم صفات كثيرة لا تكاد تنتهي الى حد .

وهذا ما سنشاهده عند عنترة ، فهو يعدد لنفسه صفات كثيرة فى المعلقة : شجاعة ، كرم ، سماحة ، قوة ، عفة ... لكانه يبصر امامه صفاته المثلى تتراقص وتتلألأ ، فيذكر بعضها ثم يقفز الى اخرى ، ليفاجىء بها عبلة .

وانك لتلمح فى فخره اشياء جديرة بالذكر ، فهو اولا يتناول الجزئيات ، فيضرب مثلا بحليل غانية قتله :

وحليل غانية تركت مجدلا ... تحكو فريصته كشدق الاعلم
سبقت يداي له بعاجل ضربة ... ورشاش نافذة كلون العندم

او بفارس بطل تجنبه الكماة ، وخافه الابطال ، واشفقوا على انفسهم من بأسه وقوته :

ومدجج كره الكماة نزاله ... لا ممعن هربا ولا مستسلم
جادت يداي له بعاجل طعنة ... بمثقف صدق الكعوب مقوم
برحيبة الفرغين يهدي جرسها ... بالليل معتس الذئاب الضرم
فشككت بالرمح الاصم ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم
فتركته جزر السباع ينشنه ... ما بين قلة رأسه والمعصم

● راجع الاديب عدد نوفمبر صفحة ٢٣
(١) هم عنترة ، والسليك بن السلكة ، وخفاف بن ندبة

في هذا التصوير نلمح الفارس الاسود في معرض الفخر بالشجاعة والقـوة ، يصف خوف الفرسان ، واشفـاق الابطال ، ليظهر نفسه التي تعلو هؤلاء واولئك ، ولعـل في هذا ضربا مـن التروي يبدو في عنترة ، يمثـل التعويض النفسي الذي جاءه عن طريق بيئته وعصره ..

ولكنه لا يقف عند حد التعابير غير المباشرة ، او عند حد التلميح والاشارة الخاطفة ، فنحن نجده في مواضع عدة من المعلقة يقيم موازنة خفية بينه وبين غيره من فرسـان الجيش ، وابطال القبيلة ، فتارة يطلب الى عبلة ان تسـأل المحاربين عـن بلائه في الاعداء ، وشجاعته في المعارك، ليكون الجواب صادرا عنهم ، شاهدا على صفاتـه الحميـدة ، ومقومات شخصه الكريم :

هلا سألت الخيل يـا بنة مالك   ان كنت جاهلة بما لـم تعلمـي
يخبرك من شهـد الوقيعـة انني   اغشى الوغى واعف عند المغنـم

وتارة اخرى يصور اشفاق اخوانه الفرسان ، وخوفهم من غمرات الموت تلاحقهم في غبار المعركة ، وتتراقص على اسنة الحراب ، ونصال السيوف ، فيلوذون به ، ويلتفون حوله ، وينضوون تحت لوائه :

في حومة الموت التـي لا تشتكـي   غمراتها الابطـال غـير تغمغـم
اذ يتقون بـي الاسنة ، لم ارخم   عنها ، ولكنـي تضـايق مقدمي

ومرة ثالثة يصرح فيها بهذه الخصيصة التي تلازمـه ، فكأنه ينظر الى الماضي فيرى نفسه امام نفر من ابناء عبس، يعيرونه سواده وامه زبيبة ، فيتألم ويغتاظ ، ثم ينظر اليهم يتقون به الاسنة والموت ، فيرتاح ويتروى، وينفث رواسب سنوات مديدة مضت بهذا البيت :

ولقد شفى نفسي وابرأ سقمهـا   قيل الفوارس ويـك عنتر اقـدم

ولكن عنترة بعد هذا كله لا يذكر شجاعتـه وبلاءه الا ليظهر لعبلة ما فيه من صفات حميدة تنوب عـن بياض الناس ، ونصاعة انسابهم ، وتعوض عن سواده ، ووضاعـة نسبه ، ونحن نجده في كل الابيات التي مرت ، لا ينفـك يذكر عبلة ، يسألها آنا ، ويخبرها آنا اخر ، فكأنه ما كـان يقوم بما قام به الا لها ، ومن جرائها ، ولعلها كانت تتماثـل له في كل موقف ، ولعله كان يتخيلها من وراء الاشيـاء ، في قلب المعركة يتذكرها ، ومن صليل السيوف تترامى اليه نظراتها ، والرماح تنوشه وتنهل منه ولكنه لا يلتفت الـى الجراح كما يلتفت الى بياض السيوف التي تشبه ثغرهـا واسنانها :

ولقد ذكرتـك والرمـاح نواهـل   مني ، وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيـل السيوف لانهـا   لمعـت كبارق ثغـرك المبتسـم

الحصان الادهم

وتشاء الاقدار ان يكون حصان عنترة مشبها له في لونه وشجاعته ، واننا لنلمح من خلال وصفه له ضربا من الحب قائما في نفس الشاعر البطل ، فهو هنا لا يكـاد يتناولـه بالوصف المادي كما كان يفعل امرؤ القيس وغـيره ، ولـو فعل ذلك لكان عمله رخيصا في هذه السوق ، ولما وقفنا منه على خلجة الوجدان ، ونبضة القلب .

والحق ان حصان عنترة ـ كما يبدو في المعلقة ـ لا يظهر لنا بقوائمه الرفيعة ، ولا يصور لنا سريـع العدو يقيـد الوحوش ، بل لا نكاد نبصره واقفا كالهيكـل ، وانمـا هو متحرك سريع الحركة ، نتحسس فيه شعور الالم ، فهـو يتأذى من جراح في صدره ، ويشكو آلامه بغمغمة الاعجم ، وحمحمة الخيول .

وليس هذا هو الشيء الهام في الحصان الادهم ، فهنـاك تجاوب وتحابب بين الادهم الانسان ، ونظيره الحيوان، فهما يكران على الجموع والارهاط المحتشدة ، وهما يتحمـلان الجراح بشيء من الالم ، ولكنهما يصمدان للمكاره، ويتلقيان الرماح الطاعنة ، والسيوف الباترة ، ويفرقان الصفوف ، ويثبتان في المعركة .. ولكن هذا التشابه لا يجعل الحصان ندا لعنترة ، ومساويا له في البأس والصلابة ، فنحن نشعر بالتعالي عند الشاعر حتى على حصانه المحبب اليه ، الاثير عنده ، فاذا شكا الحصان آلام الجراح ، حمله عنترة علـى الثبات للنوائب ، واكرهه على الصمود للآلام :

يدعـون عنتـر والرماح كأنهـا   أشطان بئر في لبـان الادهـم
ما زلـت ارميهـم بثغرة نحره   ولبانـه حتى تسربـل بالـدم
فازور من وقع القنـا بلبانـه   وشكـا الـي بعبـرة وتحمحـم
لو كـا نيدري ما المحاورة اشتكى   ولكان لو علـم الكلام مكلمـي

ابيا ت قليلة ، ولكنها بالغة الاهمية ، فنحن هنا امـام وصف وجداني تنزو فيه المشاعر والاحساسات ، ويلبس فيه الواصف والموصوف نوعا من العاطفة الشاكيـة ، فكأن الحصان كان ضحية المجتمع الذي قسا على صاحبه عنترة، واضطره الى ان يبدي شجاعة تبهر صحبه ، ليعترفوا لـه بفضل جحدوه منه ، ومزية انزوها عليه .

أهو شاعر ملحمة ؟

سؤال يحمل في ثناياه افكارا كثيرة ، ولكننا لن نمعن في تقصيها ومناقشتها ، وانما سنتناولها من جانب واحد ، هو ان هوميروس حينما قدم ملحمته الرائعة لم يصور لنـا نفسه ، بل وقف من بعيد يصف ابطال معركة ، وفرسـان حروب ، وتلك خصيصة هامة في شعر الملاحم ، اما عنتـرة فانغمس في المعركة ، ووصف بطولته ، وصور مواقفه ، فهو يعرض علينا اشرطة سريعة من حياته ، وقـد دار في فلك محبوبته عبلة ، وهذا كله بعيد عن جو الملحمة التي يعرفها الادب الاجنبي .

حلب

محمد خير الحلواني

سجـــين القلـــب

●

ايها القلبما الذي فيكيسري أي سر اخفيته عنعيوني
ان وجها وراء قضبانك السود تراءى مولولا فى انين
مد لي فى الدجى يديه وهل لي ان امد اليدين للمسجون
وانا مثله سجينة نفسي خلف اسوار وحدتي وشجوني
انه الحب ! ذلك الغر يصحو . بعد ان غاب فى سبات المنون
مل طول الرقاد فى هوة الامس وعاف السكون طي سكوني
واراد الحياة رغم تلاشي ، اراد اقتلاع كل حصوني
انت ما زلت ! انتما زلتحيا؟ ايها الحب. رغم مرالسنين
كيف اقوى على احتمالك والقلب مليء بكل جرح دفين
آه من ليلك الطويل وليلي حين اقضيه فى احتساء ظنوني
انما الليل صيغ لاثنين فى الكون حبيب وشاعر محزون
وانا الشعر والهوى وكلانا شحنة من مشاعر وحنين
ايها الحب ! رحمة بكياني . رحمة منك بالفؤاد الحزين
فدم العشق فى عروقي يسري ودم الام حائل يثنيني
غير اني على ندائك نشوى ! كل ما فيك ساحر يغريني
انت! من انت؟ انت تسلبروحي. باعثا فيعربدات الجنون
انت طفل مدلل وجميل تحت خطويه هامتي وجبيني
انك الشر غير اني اهواك مليئا بكل شر ثمين
انت انت المجلد الضخم فى حرفين خطا من عنصر التكوين
لم تزل فيهما المعاني سرا رغم طول الهتاف والتخمين
واذا ضحك الفؤاد تغنت كل اوتاره بكل اللحون
فرح متعب وحزن مريح وانتفاضات طاعن مطعون
انك العمر جمعته ثوان فى لقاء مدله مفتون
انت خصر وساعد فى عراك واشتباك مسلح مأمون
ووصول الى امتزاج دماء مستحيل الوصول والتمكين
وهروب من الحياة لكون دائم الخلق للحياة ضمين
شهقة تحمل العواصف طرا وزفير يؤج كالاتون
وسماء فى نظرة من صفاء ومحيط فى دمعة من شجون
ايها الحب ! رحمة بكياني . رحمة منك بالفؤاد الحزين.

القاهـرة **جليلـة رضـا**



منذ ان غادرنا دارنا القديمة ونحن هنا في بهجة متصلة . اننا هنا نستطيع الشعور بمدى ما يمكن ان تتيحه للمرء غرفة مستقلة دون ان يشاركه بها احد . كنا هناك جميعا في غرفة واحدة . اما صحن الدار الواسع فكان مشاعا بين اكثر من اربع عائلات بالاضافة الى كل حركة او نأمة ، وكيف يمكن ان تكون هي ايضا مشاعا بين جميع آذان القاطنين وقلوبهم !!

اننا وحدنا ، بالقرب من عائلة .. الزوج والزوجة لاغير ، انها تبدو سعيدة بالسيارة والهاتف والبراد في فصل الصيف اللاهب ، وبالقرب منا «فيلات» متناثرة اشبه بعقد سقط عن ناظمه .. والحدائق والهدوء وانسام الصيف تكاد تكون كلها اشبه بقطعة من صنع الله . ولكننا شعرنا في الايام الاولى برغم ذلك كله اننا لم نزل غرباء لا عمن حولنا فحسب ، ولكن عن هذه الاماسي الهادئة . وذاك الهواء النقي الذي تمرره نافذة الغرب المفتوحة على اتساع الافق ، وصفحة السماء المجلوة بسنا الشعاع .. وكل ما تتيحه نظرة واحدة لهذا الكون الذي لا تحده حدود . ولكننا سرعان ما اخذنا نألف الجو المحيط بنا ، فسررنا لهذا الامتاع الذي احست به نفوسنا فايقظ منا القلوب التي كانت غافية في الصدور .

كان علي بالاضافة الى واجب متابعتي الدراسة ، ان اذهب مساء كل يوم الى احدى الصحف المسائية ، امارس مهنة التحرير فيها . وفي هذه الغربة التي تبدو ثقيلة في بعض الاحيان لا يمكن ان يطرق بابنا انسان الا على موعد سابق . وقلما تكاد عائلة بسيطة كعائلتنا ان تتقن اصول «الاتيكيت» سراعا وسط بيئة قوامها اناس يبدأون بارضاع اطفالهم حليبا قد مزج ببعض الاصول للحياة الاجتماعية الراقية . وقد زاد الامر احراجا أن ابي الموظف قد نقل بحكم عمله الى محافظة اخرى ، فلا نراه الا قليلا ، مما جعل بقاء امي وحدها طيلة سهرة بكاملها ، امرا محتوما .. وليس من المعقول ان تظل امي عند جيراننا لحين عودتي المتأخرة ليلا .. وغدا الوضع يتطلب الحل .

طرق بابنا ظهر يوم شات ، اثنان ، رجل وامرأته ، من لبنان ، اضطرتهما ظروف الحياة ومشقة العيش للهجرة الموقتة لمدينتنا للعمل . لست ادري من دلهما على بيتنا ؟ انهما يريدان غرفة طوال الشتاء . وبذلك يتيحان لي على الاقل أن امضي في سهرة الليل بلا ارق .. ولهذه الام الوحيدة التي غرسناها في صحراء خالية ، ان تغفو في سريرها مطمئنة . ما دام في الغرفة المجاورة لغرفتها ارواح اخرى ، تؤنس وحشتها وتبدد ظلام الوحدة القاتلة عنها !

في الليل بينما كنا نفرغ غرفة الاستقبال كان احمد وزوجته فاطمة ينقلان حاجيات العائلة المهاجرة من لبنان للعمل : عدة صحون ، وفراش ، ولحاف ، وبساط يتناسب ومقام الفراش المفرط في التواضع ، وحقيبة سفر حائلة اللون ، وقطرميز فيه بقية من زيتون ، وابتسامة الواثق من نفسه تريد على شفتي ذلك الذئب الذي يقابل حياة صعبة بابتسامة مطمئنة .

كان احمد رجلا يحب العمل . ويزداد حبه له كلما كانت ظروفه توغل في التعاسة والمشقة ، الاجرة ليرتان او ثلاث ليرات . وساعات العمل تبدأ منذ الرابعة صباحا حتى التاسعة مساء . حتى انني امضيت



اسبوعا رأيته فيه مرتين فحسب . وعجبت كثيرا للانسان كيف يستطيع دائما أن يتلاءم مع ظروفه . كانت غرفة الاستقبال قطعة من الثلج ، وكان غطاؤها جد رقيق ، وغذاؤها بسيطا .. وكانت صحتهما جيدة ، حتى لكأنهما قد يمرضان فيما لو استعملا مدفأتنا ، وبعض نعم الحياة التي توفرت لنا — على بساطتها — وحبست عنهم .

خلال اقامتهم التي امتدت ثلاثة اشهر .. كانا يصنعان معا انسانا ثالثا . وان كانت هوية ذلك الانسان لم تعرف . اهو صبي ام بنت ؟ وكان مجرد التفكير في مثل هذا المشروع يثير الشفقة في اكثر من قلب لهذا الانسان الذي سيولد في مهد من الشوك . وأن كان احمد وزوجته فاطمه يبدوان اكثر اشراقا وحرارة وانجذاب عاطفة كلما اقترب يوم الوضع

اعد احمد لزوجته عدتها البسيطة لتسافر الى لبنان ، فيتم وضعها المولود على مقربة من اهله . انهم هناك يستطيعون ان يرعوها وان يقدموا لها التسهيلات اللازمة على الاقل .

كانت فاطمة من هاتيك النساء اللواتي لا يحببن العمل اليومي الذي تقتل فيه بعض النساء الشرقيات روحهن وجسدهن . انها ادركت ان مهمتها بسيطة لا تتعدى اعداد الطعام البسيط للزوج البسيط . اما الفراغ فكانت تقتله في التدخين وقراءة القصص ان فاطمة تحمل الشهادة الابتدائية وتستطيع ان توغل في بعض الاحاديث التي تعالج مشكلة او تزيد غموض بعض المسائل ، وسائل ايضاح . اما زوجها فلم يكن مثقفا ، ولكنه كان ذا جنوح حاد في بعض ارائه المتعلقة بحياته ، وبحياة امثاله ، وبطبيعة عمله وبما يقترحه من حلول جذرية ، تزيد من حدتها انه في غربة عن الاهل والوطن الذي ولد فيه فنشأ يحب البحر والجبل . وكنت اقرأ في وجهه الذي كان يعبر بصعوبة عما تنطوي

عليه نفسه ، أنه يعيش حياة ضنكة ولكنه صابر ، حيث وحدته ابان العمل والوحشة التي يراها في الليل ابـان عودته من عمله . بالاضافة الى جفاء تبديه زوجته نحوه كلما اراد ان يشعر برجولته كل يوم . وقد لا توافقـه فاطمة على ذلك ، فينفجر ويعذبها . ولعلها هي كانت تجد لذة في هـذا الضرب المبرح الذي لم يكن يسمـع بعده صراخ قط ... وكان كـل مـا حوله يثير مشاعره ويوقظ كرامتـه لرقته ونعومتـه ، وليس لوصـل الشتاء ولا لامطاره . حتى انني بت افكر في ضرورة مساعدته ولو بشيء بسيط . اذ لم يكن احمد عندنا مجرد مستأجر ولم يكن بيتنا بيتا للايجار ، بعد ان دخل احمد في حياتنا وانصهر فيها . اننا لسنا اقرباء ولكننا اخوة معه في الانسانية . ولكـن كـل مـا استطعت ان امنحه اياه من مساعدة هو ان أؤجره الغرفة باجرة رمزية . لعلها تسد استهلاكه مـن المـاء والكهرباء ، ما دمت قد حرصت منذ البداية على ان ابذل ما في وسعـي ، لتنام امي قريرة وامضي انا الى عملي في الجريدة المسائية ، انقل الاخبار من جداولها القديمة الى جداول اكثر جدة . ولقد فكرت في تدبير عمـل مريح لاحمد . ولكنني في النهايـة عجزت . فاكتفيت بهذه المشاركـة الوجدانية الصادقة التي كانت تنبع من قلبي لتصب في قلبه .

بعد ان سافرت فاطمة الى لبنان استعدادا لعملية الوضع ، وبعـد ان كاد يسمع صراخ الطفل قبل ان ترى عيناه النور ، بقي احمد وحده . وظل على ذلك قرابة اسبوعين . ثم ابدى لنا انه يريد ان ينقل اغراضه الـى المدينة لانه يريد ان يترك العمل الذي كان يزاوله ، بعد ان دبر عمـلا اخر في احد الحمامات باجرة يومية قدرها ليرتان ... بالاضافة الى اعتبار الحمام غرفة نوم دافئة في هـذا الشتـاء القارس .

وضع احمد حاجياته في العربة . وبادرني بالحديث الذي كان يحمـل طابع التقدير :

ـ اريد ان اترك الجاكيت لديكم ريثما ادبر اجرة الغرفة عن الشهـر الماضي !

وخلع الجاكيت وقدمه الي . لعله اطمأن الى أن الحمام سـوف تعوض عليه كل البسته ريثما تبين شمس الصيف . ولكنني لـم اشـأ جرح كبريائه فقلت له :

ـ ليس ضروريا ان تدفع في الوقت الحاضر . اننا ننتظر ريثما تتحسن الامور . اننـا نأسف لفراقك مـع فاطمة . وفقكما الله .

وغابت اخبار احمد عنا ، فاطمـة لا ندري ما حل بها . ارزقت بصبي ام ببنت ؟ أبقي هو في المدينة ام انـه رحل الى غيرها ؟ الا يزال يعمل فـي الحمام الذي اختار العمل فيه بعـد كل هذا البرد الذي اختزنه طـوال الشتاء القارس في عظامه يوما بعـد يوم ؟ لم نكن ندري من امره شيئا . كل ما في الامر انه تركنا . ولم يعد . انبأنا جيراننا ان احمد وفاطمة جـاءا مرة يزوراننا ، وكان المنزل خاليـا . ولكن اذا جاءا مرة . افـلا نستحق زيارة ثانية ؟!

مضى على هذه الذكريات كلها قرابة عام . وقد اثارتها لحظة وقف فيهـا الباص خلال ذهابي صباحا للعمل . كان الى جانب موقف الباص عمـارة تنهض بسرعـة . وعشرات العمـال يرفعونها بالحجارة والملاط واقفـاص الحديد . وكانت نظرة خاطفة الـى قفص حديدي .. فالـى ساعديـن مفتولين .. ثم وجه احمد الاسمـر بعينيه النفاذتين حتى اعماق الحديد الصلـب . ان احمـد لا يزال في المدينة . انه لم يعد الى لبنان اذن . ولعل فاطمة معه . انـه لا يزال يعمل ويجد . اشتغل مرة في معمل للغزل ، وانتقل للعمل في الحمام . واليوم ها هو ذا يعمل في البناء .

حزنت قليلا لهذه الارادة الجبارة . كيف تذوب شيئا فشيئا فـي اساس هذا البناء ، والتي بفضلها تعد مئات الابنية . وعندمـا مشى الباص بسرعة ، راودني شعور بالاطمئنان . وتخيلت احمد وقـد استطـاع ان يشتري البسة شتويـة وحـذاء لا تؤثر فيه الوحول والامطار . وسمعت رغم هدير محرك السيارة ، بكـاء طفل .. ولد ذات يوم في مهـد مـن الشوك . وعادت كـل الذكريـات والخواطر خلال هذا العـام الـذي مضى . واستقـرت على ابتسامـة مطمئنة : ان احمد وامثاله يعملـون دائما . ويقاومون صعاب الحيـاة . ثم ينتصرون في النهاية .

حمص — **علي بـدور**

حلم

سفنـا كل لفظة فيَّ ... شققت — دربها .. عبـر مبهم الافيـاء
فلتجنح قبـور امسي آنـا — شلح ضوء فيه غمـوض الرجـاء
تتغنى الاخشـاب في خفقـات — ممرعـات عمقـا على احنـائي
والقرابين من عيـون نحيـلات — جدلـن الفـراغ في حوبـائي
فتقلصت في امتـدادي على خيط — مـن المـاء والشذى والضيـاء
اورق السؤل في خرابـات تاريخي — نحتا مـن اجنـح ودعـاء

سفنـا كل لفظة في .. عـادت — حاملات تلك العيـون النوائي

حلب — **علي الزيبق**

محـــــراب

لم تطفىء الايام يا هاجري   من مهجتي ذاك اللهيب القديمْ
أغفى رماد الحب في خاطري   وجمرة الاشواق لا تستنيم

حتى اذا استرخى جناح الضبابْ   وأسدل النسيان استارهُ
وارتاب في امر الهوى والشباب   أبيض أنسى الهام تذكاره

هبت على قلبي وأشيائه   تعبث في بعض رماد السنينْ
زوبعة عاثت بأشلائه   نؤياً خلا ظلٍ غريب الحنين

يا ناقل الخطوة في وهدنا   رفقاً ولا تجرح صدى الذكرياتْ
ما زال في الباحات من عهدنا   ظل هفا لم يستبحه الموات

سألت ما يمسك منك المسير   في قفرة تغني لديها السرابْ
ذهول أفياء وبقيا غدير   تشي بها بعض خطوط السحاب

زُهر امانينا ، سل الرمل كمْ   هشت فيافيه ولان الكثيبْ
نسقيه من صمت العشايا نغم   ونفرش الاسحار ظلاً وطيب

فديته التذكار لمْ وردُهُ   مجرح الشوك سريع الذبولْ
وهاجري مخضوضر عهده   تسقيه في الاعماق سحب الذهول

حلوٌ حبيب الروح منك الرجوعْ   باق هنا قلبي على مشرفٍ
محرابيَ الناسكُ صاحي الشموع   تنطفىء الشمس ولا تنطفي

علي شلق

التربية الجامعية في الولايات المتحدة

بقلم يوسف اسعد داغر

علم المكتبات وفن تنظيمها الحديث

هـذا العلم والفن الحديثان هما من العلوم والفنون الطارئة فى حقل التعليم الجامعي فى اميركا ، واصبحا منذ عقدين او ثلاثة موضوع تخصص عدد كبير من الطلاب الجامعيين بين فتيان وفتيات . وفن المكتبات الحديث ، كغيره من الفنون والحرف المهنية نشأ بالمران وجاء نتيجة المراس والتجربة والممارسة فى المكتبات العامة. فلا غرابة بعد ، ان يبقى علم المكتبات وفن تنظيمها الحديث عرضة للنظر والتعليقات لا يسار به على خيط مشدود .

وبرزت اصول هذا العلم من محاولات المكتبات الكبرى التي ترتجل ما تراه ملائما من الاساليب والمناهج لتدريب الطلاب واعدادهم للعمل فى المكتبات بتلقينهم الاصول التي تقتضيها طبيعة الاعمال فى هذه المؤسسات الثقافية التي ترمي لتنظيم الكتاب ، والمحافظة على صحته وسلامته وجعله فى خدمة المطالعين ينمي ثقافتهم ويغذي تحصيلهم الفكري .

واول مدرسة انشئت فى اميركا لتخريج الاخصائيين بفن المكتبات هي المدرسة التي اسسها ملفيل ديواي، عام ١٨٨٧ فى جامعة كولمبيا ، عندما كان مديرا لمكتبتها الجامعية . وعندما عين ، سنة ١٨٨٩ ، مديرا لمكتبة نيويورك العامة نقل معهد المكتبات الذي اسسه فى كولمبيا الى مدينة البانى احدى مدن ولاية نيويورك . واحتذى حذو جامعة كولمبيا ونسج على منوالها فى هذا المضمار ، مضمار التخصص بفن المكتبات الحديث ، معاهد اخرى منها معهد براث فى بروكلين الذي تأسس عام ١٨٩٠ ،ومعهد دريكسل التكنولوجي، ومعهد سايمونز كولدج فى بوسطن . واندمجت بعض معاهد التخصص بهذا الحقل ، بصلب الجامعة ، كما حدث ذلك بالفعل لجامعة الينوي فى مدينة اوربانا ولجامعة وسترن ريزرف فى مدينة كليفلاند ، وجامعة سيراكوزة فى المدينة المعروفة بهذا الاسم من اعمال ولاية نيويورك . كذلك انضم عدد من معاهد التخريج بفن المكتبات ، الى بعض دور الكتب الكبرى، كما هي الحال تماما فى نيويورك وتسبرج واطلنطا ، وسانت لويس ، ولوس انجلس .

وفى عام ١٩٢٣ ، وضع تشارلز وليمسن ، دراسة هامة جدا فى هذا الحقل ، بعنوان : « التربية المهنية للمكتبات ». وهي دراسة تؤلف الحجر الاساسي ونقطة الدائرة فى مهنة امناء المكتبات . وضمن دراسته هذه نداء حارا طالب فيه بوجوب وضع معاهد تخريج امناء المكتبات تحت رعاية الجامعة واشرافها الفعلي وتوجيهاتها، مبينا الاقسام والادوار الرئيسية التي يلزم ايلاؤها الاهتمام الاكبر . كذلك نصح بوجوب انشاء الجامعة كراسي دائمة فى برامجها التعليمية تعنى بهذه الاقسام والادوار .

وعلى الاثر اخذت مؤسسة كارنجي تولي موضوع المكتبات وامر تأمين الاخصائيين للعمل فيها عنايتها الخاصة فارصدت فى هذا السبيل اعتمادات طائلة حرصت على توزيعها سنة بعد سنة ، منحا دراسية تعطى لمن يرغب فى الانتساب الى المعاهد التكنية القائمة على تخريج الاخصائيين بعلوم المكتبات وفن تنظيمها الحديث . ومنذ ذلك الحين ، والجامعة تلعب دورا حاسما فى اعداد المسلكيين الذين ينقطعون لخدمة المكتبات ويتخذون من العمل فيها حرفة لهم فى الحياة .

وبقي تدريب امناء المكتبات فى اميركا ، معمولا به على مناهج وبرامج متباينة كما ونوعا حتى سنة ١٩٢٥ وهي السنة التي راحت فيها نقابة امناء المكتبات فى اميركا — وهي نقابة لا يقل عدد اعضائها عن ٦٠ الف عضو ، تحاول ارساء قواعد هذا العلم والفن الجديدين على اصول ثابتة بينة المعالم من التكنية كما راحت فى الوقت ذاته تضع التوصيات والتوجيهات الفنية للمعنيين بهذا الامر تصدرها نشرات ورسائل مستقلة ترمي منها لتأمين رفع مستوى المسلكيين المنقطعين لخدمة المكتبات العامة على اختلاف درجاتها ، وخدمة القراء والمطالعين الذين يؤمون دور الكتب بالمئات والالوف يوميا يطالعون فيها ما يرغبون فى مطالعته وتصفحه من كتب وجرائد ومجلات .

لا يطلب من طالب التخصص بفن المكتبات وادارتها اي تهيؤ او اعداد علمي خاص كما هو شأن الطب والحقوق مثلا . فالطلاب الجامعيون الذين يطمحون للتخصص فى مهنة فنية مسلكية يطلب اليهم عادة ان يتعمقوا بدراسة الاداب والفنون والعلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية . ولما كان الهدف الاكبر من اعداد امناء المكتبات تمكينهم من تقديم المعلومات العامة لمن يرغب فيها. مهما كان منها الحقل او المجال ، ترتب على امناء المكتبات ان يتم لهم مذخور طيب من المعلومات العامة والثقافة العامة ، تزيد كثيرا على اصول فن المكتبات وممارسة اعمالها .

هنالك حاجة كبرى لامناء مكتبات عامة متمكنين بالعلوم وغيرهم لمن يحسنون اللغات الاجنبية ويجيدونها . فلا عجب بعد هذا ان تتقاضى معظم معاهد التخصص بفن المكتبات طلابها ، سنتين على الاقل ، من درس لغة اجنبية .

واول برنامج وضع فى اميركا لنيل الدكتوراه فى علم المكتبات هو البرنامج الذي وضعته جامعة شيكاغو ، سنة ١٩٢٧ . وفى الفترة الواقعة بين ١٩٤٦ — ١٩٥٠ اعتبرت السنة الاولى من التخصص بفن المكتبات ، التي تلي سنة التخرج موازية لشهادة معلم علوم (م.ع) .

● راجع الاديب عدد نوفمبر صفحة ٢٦

وقد حرص القائمون على المناهج الدراسية الخاصة بمعاهد التخصص بشؤون المكتبات على تحديد المقاييس العلمية الجديدة ، فوضعوا برنامجا للتربية المهنية فى هذا الحقل ، يقتضي له خمس سنوات من الدرس على الاقل بعد التحصيل الثانوي ، تنتهي بايلاء المتخرج شهادة استاذ علوم بفن المكتبات .

هنالك اليوم فى اميركا نحو من ٣٠ كلية او معهد لتخريج امناء المكتبات، بينما ٦ جامعات تعطي شهادة الدكتوراه بهذا العلم . وتزداد فى البلاد ، الفرص السانحة للتخصص بشؤون المكتبات ، بعد ان توفرت فيها نواحي العمل وتعددت ، فبالاضافة الى الاقسام والدوائر الرئيسية فى المكتبة ،كانتقاء الكتب وفهرستها ، وتنسيقها العلمي ، والاعارة، وقسم المراجع والمصادر والاصول المعروف بالمراجع العامة ، استحدثت المكتبات الكبرى فى الجامعات والولايات اقساما ودوائر جديدة ، كمكتبة الاطفال ومرشد القراء وادارة العلاقات العامة وغير ذلك من المجالات ، كذلك انشىء فى المكتبات الكبيرة دوائر خاصة بالادوات السمعية والمرئية ، كالتسجيلات الموسيقية والافلام الصائتة والناطقة .

ان نصف الاخصائيين بفن المكتبات فى اميركا يعملون فى ادارة المكتبات العامة ، غير ان نسبة كبيرة بينهم تعمل فى المكتبات الخاصة او فى مكتبات المدارس والكليات . وقد اشتد الطلب وزادت الحاجة الى الخبراء بفن المكتبات بعد ان رأت بيوتات وشركات صناعية كبيرة ضرورة تكوين مكتبات خاصة بها ، تتوفر فيها المراجع والاصول التي تحتاج لمراجعتها بحيث تبقى على اتصال وثيق بالتطور الصناعي وحركة التصنع الآلي.

ثم أن مهنة المكتبيين كغيرها من المهن والحرف المسلكية، تحتاج دائما الى التعهد والنماء المطرد والاستزادة . ولذا راحت بعض المكتبات الكبرى توفر لموظفيها الفرص المؤاتية لانماء معلوماتهم الفنية، كما ان بعض معاهد تخريج امناء المكتبات ، راحت تنظم ، فى هذا السبيل ، دورات دراسية قصيرة ، تدور مباحثها على فن المكتبات وتطوره .

الهندسة

كان تدريس الهندسة فى اميركا ، فى المرحلة الاولى من تاريخ نشأة هذا العلم وتطوره ، وقفا على كلية وست بوينت الحربية ، منذ تأسيسها عام ١٨١٧ وكانت برامج الدراسة العامة فى هذه الكلية ، مستوحاة فى ما يتعلق بمنهاج الهندسة وغيرها من العلوم التي كانت تدرس فيها ، من النظم المعمول بها فى الكليات الحربية فى بلدان اوروبا ودولها اذ ذاك .

غير ان نمو الشعب الاميركي وتطوره السريع وحاجة الامة الاميركية الملحة للمهندسين ، كل ذلك وغيره قضى بأن يتلقى المهندسون تربية لا عسكرية وتعليما يقتصر على تخريجهم فى العلوم الهندسية على اختلافها . فقد اخذت البلاد فى توسيع رقعتها الجغرافية كما اخذت آفات الصناعة ترحب فيها وتتنوع ، فبرزت بالتالي الحاجة ، الشديدة الى المهندسين يقومون بالتصاميم والتخطيطات التي يقتضيها شق الطرقات وفتح الترع والممرات المائية ، وترويض مساقط المياه والشلالات واستخدامها لتوليد الطاقة الكهربائية المحركة ، الى غير ذلك من الاعمال والانشاءات التي يقتضيها اعمار البلاد وتعميرها مما يدخل ضمن اختصاص المهندس .

واول معهد باشر تعليم الهندسة فى البلاد ، علما مستقلا له حدوده ونطاقه هو معهد رنسلر البولتكنيكي الذي تأسس سنة ١٨٢٨ ، واول شهادة اعطيت فى اميركا بعلم الهندسة ، وزعت عام ١٨٣٥ .

وقد نظرت الجامعات الاميركية المهيمنة على امر التربية والتعلم الى العلم الجديد ، نظرة ازورار ومظنة ، وراحت القلة من الكليات التي افردت فى منهاجها الجامعي محلا خاصا بتعليم الهندسة ، تحاول ابقاء هذا القسم بمنأى عن الاقسام الاخرى وبمعزل منها، الى ان صدر عام١٨٦٢، قانون موريل، وهو القانون الذي قضى بانشاء الكليات الزراعية فى البلاد، وفقا للوقفية العقارية وهي كليات تعنى على الاخص بالتعليم التكنولوجي والميكانيكي العالي . فراحت الجامعات والكليات الجديدة التي برزت الوجود وفقا للقانون الجديد ، تولي تعليم الهندسة المرتبة الاولى من عنايتها . ومنذ ذلك الحين زاد الاقبال بين الطلاب على درس الهندسة بفنونها الطارئة وحرصت الكليات والجامعات على تأمين حاجة الشعب والاهلين بتنويع مجالات الهندسة .

وكان قوام تعليم الهندسة فى الجامعات ومدة التحصيل لطلاب التخرج اربع سنوات من الدراسة الموصولة ،كان خلالها الطالب يتلقف العلوم النظرية والتطبيقية ، ويتخرج فى المناهج التكنولوجية ، فى الحقول والمجالات العديدة التي ينفتح لها تعليم الهندسة .

وعندما تبين لعدد من الجامعات الاميركية الدور الذي يلعبه المهندس ، والشأن الخطير الذي يمثله فى منهاج التعمير والانشاء ، وفى مناح اخرى تنأى عن اختصاصه الفني فى دنيا الاعمال والصناعة والمال والخدمات العامة ، راحت تعدل من برامجها التربوية وتشدد فى تلقينها ، فادخلت عليها موادا دراسية تتعلق بالثقافة العامة او بالمناقبية الادبية والمسلكية . وعمدت بعض الجامعات والكليات الى اضافة سنة اخرى على مدة الدراسة لطلاب التخرج فاصبحت خمسا بعد ان كانت اربعا . كما راحت غيرها تضع مناهج يتناوح فيها الدرس النظري والعملي فى حصص متتالية .

وقد بدت على مر السنين ضرورة التخصص بالعلوم الهندسية ولا سيما لمن يتولون الوظائف الفنية العالية في الصناعة والتربية والتعليم ، والدوائر الحكومية ، وخصوصا عندما تتصل الهندسة بنواحي العلوم التجريدية وتتاخمها والحاجة البادية الى التخصص بالعلوم الهندسية اوجبت بالتالي نتيجة لها واستدعت تعزيز قسم الابحاث العلمية

فى كلية الهندسة ، وهي ابحاث يشجع على الانصراف اليها والانقطاع لها معهد الهندسة بالذات عندما يكون ذلك فى متناول امكانياته ، بينما راحت دور الصناعة الكبرى والشركات القوية وبعض المؤسسات الانسانية ترعى هي نواحي البحث العلمي وتعضد القائمين به ، فترصد فى هذا السبيل مبالغ ضخمة لم يكن فى مقدور ميزانية الكلية او الجامعة مواجهتها .

وفى سنة ١٨٩٣ تألفت فى اميركا ، الرابطة لتعليم الهندسة التي مثلت دورا بارزا فى تطوير تعلم الهندسة وتسديد مناهجها التربوية ، وفى سنة ١٩٣٢ ، تشكل مجلس المهندسين للتطوير المهني ، وهو مجلس يضم اشتات الجمعيات الهندسية فى البلاد ، اخذ على نفسه الاهتمام بامور اعداد المهندسين ، وتحسين احوالهم المهنية والشخصية والمجلس المذكور لا يتدخل فى تحديد مواصفات مناهج تعليم الهندسة ، انما يشجع على الاكثار من التجارب والاختبارات فلا عجب بعد هذا ان تصبح الهندسة فى الولايات المتحدة من اكبر المهن الفنية والمسلكية فى تلك البلاد .

ان تطور التكنيك الهندسي وتغلغل المهندسين فى الورش الكبيرة والاعمال ودور الصناعة كان من شأنه ان يوسع من نطاق علم الهندسة وفروعها العديدة ، بحيث اصبحنا نرى معظم كليات الهندسة فى اميركا تلقن طلابها العلوم الهندسية التالية :

هندسة الطيران ، هندسة الزراعة ، هندسة الخزفيات ، الهندسة الكيماوية ، المدنية ، الكترونية ، الكهربائية ، الهندسة الصناعية ، هندسة الدباغة والجلود ، الهندسة الميكانيكية ، هندسة المعادن ، هندسة التعدين ، هندسة صناعة الورق .

الفـــن المعماري

اول مدرسة لتعليم الهندسة المعمارية فى اميركا انشئت فى عام ١٨٦٥ ، فجاءت حلقة من حلقات معهد ماستشوستس التكنولوجي ، وبعد هذا ببضع سنوات اي فى عام ١٨٧١ انشئت كلية للهندسة فى جامعة الينوي ، واخرى فى جامعة كورنيل ، واخرى فى جامعة سيراكوز عام ١٨٧٣ ، وغيرها فى جامعة بنسلفانيا عام ١٨٧٤ ، واخرى فى جامعة كولمبيا ، عام ١٨٨١ وبعد سنة ١٨٩٠ ، اخذت كليات الهندسة المعمارية ، تبرز كالفطر فى جميع انحاء الولايات المتحدة الاميركية ، بحيث اصبحت اميركا تعد منها اليوم ٦٠ كلية تعنى بتعليم الهندسة المعمارية .

وفى سنة ١٩١٣ اتفقت ٨ كليات للهندسة فى اميركا على منهاج مشترك لتعليم الهندسة ، يضم الحد الادنى من الدروس والموضوعات التي لا ندحة عنها ولا بد منها لكل طالب هندسة خلال السنوات الاربع التي يستغرقها تخرجه وفى الوقت ذاته ، تالفت من هذه المدارس الثمان رابطة اخذت على نفسها معالجة القضايا والمشكلات التي تعترض تطور تعليم الهندسة المعمارية فى البلاد . اما القصد من تعيين وتحديد الحد الادنى ، فالتأكد من ان كل خريجي مدارس الهندسة يتوفر لهم مستوى شبيه من التحصيل المهني التكني .

وقد انضم فى ما بعد الى عصبة « الحد الادنى » من كليات الهندسة فى اميركا ، عدد من الكليات والمعاهد الاخرى . واخذت هذه الكليات فى اعقاب سنة ١٩١٩ ، تدخل تحسينات ملحوظة على برامجها التعليمية ووسعت من امد الدراسة فجعلتها خمس سنوات بدلا من اربع ، الامر الذي افضى الى الغاء عصبة « الحد الادنى » والاستعاضة عنها بلجنة فنية تاخذ على عاتقها زيارة كليات الهندسة فى البلاد ، والتدقيق فى مستواها العلمي ، والنظر مليا فى مناهجها التربوية والتعليمية ، حتى اذا ما وثقت بتوفر الشروط الفنية اللازمة ، قررت قبولها فى عضوية الرابطة .

والاعتراف بكليات الهندسة الجديدة فى اميركا منوط بالمكتب الوطني لترخيص تعليم الهندسة ، وهو مكتب يتألف اعضاؤه من عضوين يمثلان الرابطة الوطنية للمهندسين

المسجلين ، وعضوين يمثلان المعهد الاميركي للمهندسين ، واثنين يمثلان رابطة كليات الهندسة في اميركا .

في اميركا اليوم نحو ٢٥٠٠٠ مهندس معماري ، بينهم ١٠٠٠ من النساء . ومعظم المهندسين يتولون رسم وتخطيط المباني من اي نوع كانت . وهنالك اخصائيون بينهم ينقطعون لناحية واحدة او اكثر من حقول العمل الهندسي : هندسة منازل السكن والمزارع والمنازل الشعبية، بينما ينصرف غيرهم للتخصص بالهندسة الصناعية كانشاء المعامل والمصانع وتوليد القوى المحركة ، والمباني التجارية، والفنادق والمصارف ومكاتب الادارة ، ومعاهد التربية والتعليم ، والمباني ذات المنافع العامة كالمستشفيات والمستوصفات وغير ذلك .

الهندسة الزراعية

حرصت الولايات المتحدة، عبر تاريخها ، على النهوض بالزراعة في البلاد ، وتطوير مرافقها العامة ، تطويرا علميا تصاعديا ، مما جعل عدد المزارعين في اميركا اليوم يربو على ٦ ملايين مزارع وفلاح، ويؤمن لهم الارشاد الفني والتوجيه العلمي والمسلكي ما يزيد على ١٣٠٠٠ مهندس زراعي وخبير فني بامور الزراعة ، ويرتكزون في هذا السبيل ، على شبكة مترابطة الحلقات من محطات الابحاث ومراكز الارشاد الزراعي والعديد من المختبرات للفحوصات والتجارب العلمية.

ولعل من ابرز مرافق النشاط الزراعي في اميركا ، الارشاد الزراعي والبرامج الفنية والمهنية التي تنتظم مظاهره المختلفة ، وهي برامج لفتت اليها بحق انتباه العالم للمستويات العالية التي حققتها في البلاد لما بلغته من التقنية والفنية . ونظرا لما حققته الولايات المتحدة في حقل الزراعة العلمية من ارقام قياسية عالية ، كما ونوعا ، راح عدد من الدول الاجنبية ، توفد اليها ، لفترات تتفاوت طولا وقصرا بعض رعايا يتخصصون بفنون الزراعة ويتدربون على اساليبها الحديثة ، ويطلعون عن كثب على ما تجريه مراكز الارشاد الزراعي ومحطات التجارب العلمية والمختبرات من فحوص وتحاليل وتجارب تعود نتائجها بالخير العميم على المزارعين.

والارشاد الزراعي اخذ ينمو في البلاد ويتطور مع نمو الكليات الزراعية والميكانيكية التي قامت على الوقفية العقارية، وهو القانون الذي صدر عام ١٨٦٢ مذيلا بتوقيع الرئيس ابراهيم لنكولن . فهو يخول حكومة الولاية اقتطاع رقعة كبيرة من املاك الدولة الزراعية يقوم عليها حرم الجامعة ويستثمر الباقي في سبيل تأمين النهوض باسباب الجامعة .

والتدبير الاداري الجديد الذي رمى الى تشجيع الزراعة في البلاد وتوفير ما تحتاج اليه من المهندسين المتفقهين بامور حراثة الارض وفلاحتها واستثمارها ، وفرت امام الكثيرين من اولاد الطبقة الفقيرة الظروف المؤاتية ليتعلموا ويزيدوا من معلوماتهم الفنية والتكنية ، اشباعا لحاجات مجتمع تقدمي متطور .

والهندسة الزراعية التي تدرس اليوم في الجامعات ، يؤمن تدريسها على الغالب هذه الكليات التي قامت ونشأت على الوقفية العقارية . وتؤلف هذه الكليات شبكة وطنية تعم حلقاتها جميع الولايات الاميركية الخمسين والمقاطعات التابعة لها . والدراسة في هذه الكليات تدوم اربع سنوات يمنح الطالب الناجح في نهايتها شهادة بكالوريوس علوم . فهي والحالة هذه مهنية تكنية تغرس في نفوس طلابها اصول الزراعة الحديثة نظريا وعلميا . وبعض هذه الكليات تقتضي طلابها القيام بابحاث علمية تفضي بمن يقوم بها بنجاح الى شهادة الاستاذية في الزراعة .

والبرنامج الزراعي في اية كلية زراعية يضم موضوعات زراعية متنوعة كالفلاحة وتربية الحيوانات والماشية ، وصناعة الالبان والاجبان ، وتربية الدجاج ، ، وعلم الحدائق والجنائن ، والطيور البرية ، والهندسة الزراعية ، وفن ادارة المزارع ، وعلم الاقتصاد ، وعلم انشاء المناظر الريفية، وغير ذلك من الموضوعات التي تتصل من قريب او بعيد بالارض واستثمارها . ويقوم بالقاء الدروس والتجارب العلمية ، اساتذة مجربون طويلو الباع بهذه القضايا كلها مطلعون على كل شاردة وواردة .

والخطوة التالية التي خطتها الكليات الزراعية القائمة على اساس الوقفية الزراعية كانت تعزيز قسم المباحث العلمية والمخبرية التي تجري في مراكز التطبيقات العملية . وقد نشأت هذه المراكز والمحطات العلمية وفقا للقانون الذي صدر عام ١٨٨٧ وهو القانون المعروف بقانون هتش. وهذه المراكز والمحطات انما تهدف في الدرجة الاولى للكشف عن العاهات والاوبئة التي تهدد مرافق الزراعة في البلاد وترتهن نجاحها ، واقتراح خير الوسائل والذرائع الصالحة لمكافحتها واستئصال شأفتها .

وفي سنة ١٩١٤ ، وضعت الحكومة الاميركية قانون الارشاد الزراعي ، وهذا القانون هو المعروف بقانون سمث ليفر وبموجب هذا القانون ظهر قسم الارشاد الزراعي والاقتصاد المنزلي ، فيمد الفلاحين والمزارعين بكل ما يرغبون فيه من المعلومات والفوائد ، مما يتصل من قريب او بعيد ، بالمشكلات الزراعية التي تعترض عملهم والحلول المقترحة لحلها . والطريف في هذا هو ان الشبان والفتيان في المزارع والارياف هم على اتصال وثيق بنوادي المزارعين حيث يجتمعون بالمرشدين الزراعيين وباساتذة الزراعة وخبرائها يبحثون معا في خير الحلول التي تتطلبها المشكلات الزراعية التي يتربصون لها ، وذلك قبل ان يصل الواحد منهم الى الجامعة . كذلك يحرص ذوو هؤلاء الشبان على تنمية خير العلائق واوثق الروابط بالمرشدين الزراعيين ، وباساتذة كلية الزراعة الذين نراهم دوما على اتم استعداد لمساعدتهم على حل قضاياهم المستعصية والمشكلات التي تعترض المزارع في الريف في حياته اليومية .

فن التحريج والعناية بالغابات

هذا العلم من العلوم الحديثة الطارئة في اميركا ، كانت جامعة كورنيل اول ما وضعت ورسمت مناهجه وحددت برامجه ، وذلك عام ١٨٩٨ ، وفي تلك السنة بالذات ، تأسست في كارولينا الشمالية مدرسة بلتمور للتحريج ثم انتسخ تعليم هذا الفرع مدة في كلا المعهدين ، الى ان راحت جامعة يايل تحيي من جديد تعليم هذا الفرع ، في احدى كلياتها العديدة وتجعل منه دائرة خاصة لها استقلالها .

وفي سنة ١٩٢٠ وما يليها راح فريق من اساتذة علم الاحراج في اميركا يقترحون على اولياء الشأن فيها القيام بدراسة عامة للطرائق التي يجري بموجبها في البلاد تخريج الخبراء والاخصائيين بعلم الغابات والمناهج التربوية التي يتخرجون بها . وقد تحقق اقتراحهم هذا بفضل منحة مالية سنية تبرعت بها مؤسسة كارنجي ، لجمعية ملاكي الغابات الاميركية واتخذت الجمعية من هذه الدراسة الدقيقة وسيلة لاجراء فحص للمعاهد التي تدرس علم الغابات والاحراج ، لتحدد على ضوء هذه الدراسة الحد الادنى الذي يقتضيه تدريب الاخصائيين . فالمعاهد التي جازت الامتحان المذكور بنجاح ، كانت المدارس الاولى التي رخص لها تعليم هذا الفرع وتأمين الخبراء بالتحريج .

ومع ان التربية والمناهج المتبعة التي يقتضيها تخريج الاخصائيين بعلم الاحراج تختلف بين معهد واخر ، فهنالك مع ذلك خمس من المواد الاصلية التي يتوجب تعليمها في هذه المدارس ، وهي : تربية الاحراج والغابات ، صيانة الاحراج والغابات ، ادارة الاحراج والغابات ، الاقتصاد الحرجي ، استثمار الاحراج .

هنالك اليوم ، نصف عدد المدارس والمعاهد على الاقل التي تعنى بعلم الاحراج لها برامج تفضي بطلابها الى شهادة استاذ علوم بهذا العلم . والبرامج التي تعتمدها كل من جامعة يايل وجامعة ديوك تتجه من طلاب التخصص بهذا الفرع وتقتصر عليهم . فهي تعد خريجيها ليس فقط لشهادة استاذ بالاحراج والغابات ، بل ايضا لشهادة الدكتوراه بهذا العلم . فالاولى لازمة للخبير الاختصاصي بهذا الفن كما ان الثانية او الدكتوراه لا مندوحة عنها لمن ينقطع للتعليم في هذا المضمار او لمن يرغب في الانصراف بكليته للبحث العلمي فيه .

ومعاهد التحريج والغابات تمنح شهادات فرعية خاصة في تقنية صناعة الخشب وادارة الاحراج ، والعناية بتربية الحيوانات البرية ، والمنتزهات الحرجية ، وغير ذلك من الموضوعات المتقاربة . والتخصص بهذه الناحية ، يعنى قبل كل شيء بكيفية استثمار الاحراج استثمارا يدر الخير ، وبالمحافظة على الثروة الحرجية في البلاد وتجديدها وانمائها والامر الذي يجب ان لا يغرب عن بال احد هو ان الصحة العامة في امة ما ورفاه هذه الامة وازدهارها ، مرتبطان الى حد بعيد بنسبة مواردها الحرجية الطبيعية .

ان مأموري الاحراج والقائمين على صيانتها وحراستها يقومون بخدمات عديدة في سبيل الغابات والثروة الحرجية في البلاد . فهم الذين يشرفون على الاحراج ويحددون مدى التربة وانواعها اللازمة والمناطق التي تلائم زراعتها ، كما يسهرون على مكافحة الحرائق والحشرات والامراض التي تفتك بالثروة الحرجية ، ويوزعون الزروع والمشاتل وينصرفون لقطع الاشجار بعلم واصول والاستفادة من بيعها .

ويقدر عدد مأموري الاحراج في اميركا بنحو ١٧٠٠٠ موظف بينهم عدد يعمل في خدمة الاحراج والغابات الاميركية التي تغطي مساحتها اكثر من مائتي مليون فدان مربع . والسواد الاكبر بينهم يعمل في خدمة مالكي الاحراج والغابات الخاصة ويؤلف هؤلاء الموظفون في ما بينهم نقابة او جمعية خاصة هي الجمعية الاميركية لمأموري الاحراج ، ومن ضمن هذه الجمعية لجنة دائمة تعنى بتطوير التربية الفنية التي يجب توفيرها لمأموري الاحراج والغابات . وهذه اللجنة تقوم دوريا بفحص المؤسسات والمعاهد التي تعنى بتخريج الاخصائيين بهذا الحقل . فاذا ما توفرت لهذه المعاهد بعد الفحص الدقيق ، الشرائط العلمية والفنية اللازمة ، اعترف لها بحق القيام بالتعليم المهني المطلوب .

والكلام عن علم الاحراج الغابات في اميركا يقودنا لان نتعرض بايجاز سياسة التحريج في الولايات المتحدة الاميركية بعد ان دأبت البلاد على تحريج الاراضي التي لا حاجة لزراعتها بعد اشتداد استهلاك البلاد من الاخشاب بهذه المقادير الهائلة . فالاحراج تصون خصب التربة كما تساعد الارض على الاحتفاظ بقسم اكبر من مياه الامطار المتساقطة اثر اشتداد حاجة الاهلين والمزارعين الى المياه .

وقد سجلت عملية التحريج في الولايات المتحدة خلال سنة ١٩٥٦ رقما قياسيا ، اذ ادى هذا النشاط الى تشجير ٩١٥٤٢٨ فدان من الاراضي (٣٧٠٤٧٤ هكتار) والولايات الاميركية تسهم كلها في هذا المجهود المشترك ، فتنشىء فيها العديد من المشاتل التابعة لحكومة الاتحاد او للولاية ، كما تتعاون مع ارباب المشاتل الخاصة على انشاء المزيد منها . ومثل هذا المجهود سيتيح تشجير مليون فدان في العام الحالي .

وهذه الحركة الناشطة في تحريج الاراضي امكن النهوض بها على مثل هذا الاتساع بفضل المشاتل الزراعية القائمة في طول البلاد وعرضها ، التي امدت المزارعين والمحرجين بما لا يقل عن ٨٨٥٩٦٨٠٠٠ شتلة او فسيلة ، قدم السواد الاعظم منها المشاتل الحكومية . والمعروف ان وزارة الزراعة الاميركية تملك من اصل هذه المشاتل ١٢ مشتلا كبير ، كما ان مشروع وادي تنسي يضم في عداد انشاءاته مشتلا اخر امد المحرجين بـ ١٤١٨٥٠٠٠٠ .

ومن المتوقع ان تزداد حركة التحريج نشاطا سنة بعد سنة في البلاد سدا للحاجة النامية الى الخشب ومشتقاته الصناعية .

يوسف اسعد داغر

بـلادي

●

في الـذل في الاهوال في الاصفـاد   وتخبطـي في قبضـة الجـلاد
في وحدتي والسجن يقتطـع الحيـاة ممـزقا اوصـال قلبي الصـادي
في ظلمـة اللحـد الـذي غاصـت مخـالبها الميتـة في سواد فوآدي
في لحظـة استسلام شلوي وانهيـاري بعـد طـول تحملي وجـلادي

ما غاب طيفـك يا بلادي لحظـة   عنـي برغـم تكـاثف الاحقاد
احببت فيك سعـادتي وتعاستي   وطفولتي ، وشقاوتي ، وجهـادي
احببت اصحابـي واعدائي ومـن   ضم الثرى في ظلمة الالحـاد
احببت حتـى المجرمـين فانهـم   اهلـي ولست بمنكـر اولادي
احببت الحـان الخلود تصبهـا   نـاعورة عجفـاء عبـر الوادي
فتجيبها طـاحونة وقفت تكـافح عـالم الصـاروخ والابعـاد
اسطورة خرجـت تحدثنـا عـن الاشبـاح والارواح والاجـداد

احببت فيك معالم الاباء فـي   ريفـي وفي يمنـي وفي بغـدادي
احببت اسراب النخيل تجمعـت   عنـد المغيب علـى ضفاف الوادي
ومياه دجلة تمسح الاقدام فـي   ولـه يثير صلابـة الزهـاد

احببت وضحة وهي تحلب عنزها   وعشقت روعة حسنهـا الميـاد
ودخـان وقد الشيخ يرسل عنبرا   وتصـارع الفرسان في الاعيـاد
وعبير قهـوة شيخنـا ومضافـة   جمعت حديث الغـول والاجواد

احببت موج البحر يهدر صاخبـا   ومهـددا والمـوت بالمرصـاد
وهدوءه والبـدر ينشـر فوقـه   مـا يترك البلغاء كالاوتـاد
وتنحنـح الارز العظيـم كأنـه   رب الاولمب يهش للعبـاد
وشـموخه نحـو العـلاء مـؤكدا   صلـة السماء بدوحة الامجـاد
وخلوده وكـأنه فـي معـزل   عن عالـم الكلمـات والاعـداد

يـا موطني يـا موطـن الانجيـل والقـرآن والـرواد والقـواد
لي في هواك على الخلائق فخر من   عشـق الجمـال ومربض الاسـاد

ابو فـواز

في بادىء الامر ، لم تشعر بالحقد الصغير ، وقد تغلغل ببساطة لا حدود لها، في صدرها الحزين . كان الشفق الورديالمنعكس على زجاج نافذة السيارة ، بظلال موحية ، مناقضا تماما ... للنفسية المشوشة التي اطلت من عينيها هذه اللحظة . كان الهواء خريفيا ، ينسل .. من شقوق النافذة.وثمة في .. الافق سرب من السنونو ، متجها .. صوب الجنوب .. ما يزال .

قسماتها المنطوية على نغم وحشي .. عادت تتشنج . وكان ثمة نصل حاد .. يمزق في الصدر . يعشق تمزيق .. عواطفها الفطرية ، منسجما مع الحزن .. يغمر عينيها النديتين باستمرار .. والقسمات الحلوة الواجفة ، والشعر الليلي .. المنسدل دون عناء .

لم تلتفت ــ نورا ــ هذه المرة الى الخلف . وان كانت معالم القرية .. على وشك الاختفاء ــ بفعل المسافة ــ قبل ان تلوح للعينين .. طيفا باهتا بالمرة . واخذت ــ نورا ــ تتنهد للمرة.. الثانية ، وهي تعيش لحظات .. الماضي من جديد ..

كانت الاشياء اذ ذاك لما تتشح كلية ، بغلالة الحزن الشتائي بعد . كان ثمة انطباعة .. مبهمة ، عن طفلة من صلبها ، تترسب .. في الاعماق البعيدة .. على نحو تلقائي . ومع ذلك حدث ما جعلها نهب احساسين متناقضين ، يكذب كل منهما الاقناع .. الذي يرجح احدهما على الاخر . وصار من البداهة ان تفكر بطريقة محض عاطفية .. فتضع راسها بين كتفيها . وتتساءل كمن يذبحه انتظار ملح ومشبوب . لكن حدا ما .. لا يقف ازاء التساؤل المخجل الذي يتردد ابدا في نفسها . وتبقى ــ كما اعتادت ــ القروية .. ترى القمر باهتا ، حينما يتنابها حزن محض . الفرحة في عفوية ساذجة، ازاء الاشياء .. الحلوة . لكن صورة ..واحدة، صورة لطفلة بجديلة سوداء ، ووجه ملائكي ــ مدور ، تبقى على الرغم منها ، مهزوزة .. في الذاكرة ، بعض الشيء !..

ان ايام الخريف الكئيبة ، تفسح الصدر لكل تصدر . او علها تجعل الانسان ينطوي على ذاته ، وبينه .. وبين الاخرين جدار . وبرغم من ذلك ، قلقت في نفسها ، وقد اكلت نظراتها .. الصغار من حولها ، في جحور امهاتهم . أيعرفون .. صغيرة .. خلفتها منذ سنين ولا ريب ؟..

كانت تكذب كل هاجسة .. لا تنسجم والشعور العاطفي . وتشعر انها تتمزق بعنف من الداخل . وانها مدانة . وكانت للحظة هذه ... عبثا



بقلم خلدون الشمعة

تحاول ان تنظم ما يومض لها . ادركت ان ثمة ما ينفصل عنها ببطء. او انها انفصلت عن نفسها فعلا . ان شخصا معينا يحتل خيالها . شخصا يعترف بجدية ، بأبوته لصغيرتها . ويعد ان يتدارك .. الامر سراعا . لكنه ما يلبث ان يمضي الى حيث.. لا ترى اليه المآقي المغرورقة . دون ان تكتمل عيناه بمحيا الصغيرة . ولقد توشك ان تبكي . بقيت على مضض .. تغوص من جديد ، في امس ضائع ، ان في عينيها حشد ظلال، يضج بايقاع .. العار المرصود. وها هي بعيدة عن صغيرتها . يحكم



برحيلها عن الديار، ولما تلمح الصغيرة وميض الحياة بعد . كان عليها ان تعمل في المدينة لاجلها . وانها لتذكر اللحظة المرهفة ، وقد تشربت بحزن غامر ، تستحيل تلقائيا ، مجرد .. ذكرى ناقصة . مجرد ذكرى مؤلمة ، يطويها ذلك الالحاح .. يتفجر من صدرها كعصفور تائه ، وهي بعيدة عن الصغيرة .. ما تزال . ولطالما تمنت ان تضمها ، ان تحقق احساس الام ، ــ وربما امست صبية ــ لكن بريقا كان يلتمع في عيني ابيها ابدا.. كضوء بخيل ، أو كمن يتساءل بمرارة : اتجرؤين ؟..

رات ــ نورا ــ وجه ابيها المتغضن يكبر .. ويكبر . وكلما استفسرت في لهفة ، قال حانقا :

ــ ان الصغار يسألون عن ابيها.. فتحار بماذا تجيب . فيملأ غياب الصغيرة ، اعماق شعورها بالمضض . ولا تجرؤ ان تضع قدما ، في القرية.. ما دامت تخشاه يزجرها بقسوة ، حتى استحال شوقها الى الصغيرة ، استحال ببطء .. لهفة بدائية ، تشدها الرغبة الى شيء مجهول . وبات اشبه بانجذاب غير طوعي ، لايحمل ذرة.. من الهوادة والتمهل. انها سمحت لنفسها .. تغرق في التصور . وربما تحلم بها ، ويشتد حنين دفين . وربما تحلم بها .. فراشة مذهبة ، تخطر في درب سوسن لا ينتهي . وفي مسمعيها .. اغنية اشبه بهدهدة ام ، اشبه بتهويمة ام .. لطفل صغير لا ينام . فتتساءل تلقائيا وبالحاح : ــ ترى هل تشعر باحساس معين بالنسبة لي ؟.

وكانت لا تجرؤ ان تفكر . لقد خلفتها بنت ايام . ولا تدري لها .. حقا .. سوى صورة مهزوزة ، بل ان صورة ما لم تثبت .. بقسوة ، في مجال تصورها البتة . حتى انها قد بلغ منها .. رويدا .. رويدا ، غاية الشوق .. والترقب . وها هي تعود اليها في الديار .. دونما خشية ، ولما تزايلها العينان بعد . بل انحرفت

فيهما اصابع للقسوة . وكبر وجه ابيها المتغضن وكبر .. حتى تشققت غضونه . وقال لها ان تعود. لكنه لو قال حقا ، ذلك ، فسترفض قطعا . سوف لا تعود الا وبين الذراعين .. تمثال لحم دافىء ، له عينان ضحوكتان ، ووجه مدور ، وردي وباسم ابدا . وانها للان وهي تقفل عائدة من هناك .. لا تكاد تذكر ما حدث .

نظرت من النافذة. وفكرت قليلا. لقد لاحت اضواء المدينة ، مهزوزة متقدة .. والظلام كأنما قد غمر العالم .. دفعة واحدة . كان ثمة طفل فى حضن امه ، على مقعد مجاور، راح يبكي . مدت المراة يدها . ربتت على كتفه . ثم عاود هدوءه .

قالت فى نفسها :

ــ ان فى عينيه وميضا رائعا .

حاولت فى هدوء ، ان تبعد خاطرا، ابتدا يجتاحها . كان وعيها يردد باستمرار .. شيئا قميئا.. ما تزال تكذبه . ولقد أثار قدومها .. الى القرية ، فى نفس ابيها .. والاخرين، عاصفة من النقمة الملحة . وعلى الشفاه يرتسم استفهام عريض : ــ كيف تجرؤين ؟..

وبكت بضراعة . بحثت طويلا . اين الصغيرة . لا بد .. يخفونها في مكان ما . لكن صمت الاخرين ، ازاء التوجس .. فى نفسها ، لم يلبث ان انهار .. مرة واحدة . لم تعد تشعر بالدوامة تجذبها فى سرعة .. لينة.. نحو القاع . كان شعرها مبعثرا ، ووجهها صلبا وممتقعا .. وتطلعت الى الامام بخوف .. حقيقي ، فركت عينيها بجنون ، ثم تشنجت الرقبة من العروق . رأت الى السماء .. بعينين تحركتا فى محجريهما ، قبل ان تنحسر الطرحة .. السوداء . واستحال النشيج الى .. نهنهة ، وموسيقى الفراق ابدا .. تعلو .. على نحو .. بدائي وموصول . وردد وعيها المنهار تحت الوطأة ، بحرارة جنونية، ما كان يردد.. الاخرون ..

ــ مضت بعينيها الصغيرتين الى الابد !..

وتساءلت بجنون .. اشد :

ــ ولكن صغيرتي .. تقصدون انها .. صغيرتي ؟.

وارتفع اللغط واشتدت كثافته ، ثم استحال الى نغم وحشي ، صاخب ومشبوب :

ــ ماتت فى الشهر .. الثالث ..

وبلغ اللغط غايته . فصار اشبه .. باغنية خلف جناز حزين :

ــ قلبي عليها .. لم تكتحل عيناها بمرأى .. الحياة ..

وحدقت وجوه شريرة . وانساب فى المسمعين ، همس كالهدير :

ــ وحتى قبل حين ، لم يخطر ببال ان غيابها .. بلا عودة ..

فتغلغل حزن باك مخيف . وافترت شفتاها . وتضخم الصوت ، صوتها ، واحست بدوار هائل ثقيل ، .. وكانت تحتاج الى قلب .

فقالت فى ضحك .. مجنون :

ــ لكنك يا ابي .. كنت تكتم الخبر ، تستنزف من دمي ثلاث .. سنين ، وبحقد متغلغل اردفت :

ــ لن اسير بدونها خطوة .. انني متعبة ويائسة .

ثم ما عتمت ان .. بصقت .

كانت لا تتوقع اللطمة ملتهبة . انفجرت دفعة .. واحدة . دارت بعينيها ، تتفرس فى الوجوه . انها تنتظر وجها ينم انفعاله عن.. تكذيب قاطع . والدوامة تدور قاسية ، سوداء كحجر الطاحون ، وتجذبها .. فى سرعة لينة نحو .. القاع . وظلت تتشبث باصرار النهاية . وارتفع في وجهها جدار . تخطته . ثم ارتفع ثانية جدار . وتكاثف الضباب .. فى عينيها، وهي لما تزل اول .. الشوط. وصرخت فى جنون :

ــ ها انذا آتية !.

كان يخيل .. انها تسمع صوت الصغيرة .. كنداء ملاح تائه ، من بعيد . وعادت تصرخ .. ثانية :

ــ ها انذا آتية !.

لم يكن ثمة فى وجهها انسان . بحثت عنها .. بلا جدوى . لم يعد من شيء يربطها بالديار . وها هي تقفل عائدة الى المدينة ، ينبت فى قلبها امل وردي لا تجرؤ ان تكذبه . ربما تصدفها هناك . انها تسمع صوتا . أشبه بصلاة فى معبد اثيري ، اشبه بصوت عينين تسحان .. قطرة .. قطرة . وحيثما اقتربت فى لهفة منتشية ، انعقد الضباب ، تتكاثف دونه الرؤيا .. انها تعب الان من الهواء كثيرا .. كثيرا . وتوغل فى التحليق ، كأنما نبتت لها اجنحة بيضاء ومرهفة ، تتخطى احزان العالم اجمع . وما زال الصوت حادا .. مثيرا كنداء ملاح من بعيد ، واوغلت هامسة :

ــ ها انذا آتية !..

وتضخم الصوت ، رويدا .. رويدا ، صوت طفلتها اصم مسمعيها . واومأت غيمة لاخرى .. فدفعتاها دفعتين . وتكاثف من جديد ضباب . لكنها تعبر بين زرقتين ، على نحو .. اسطوري . لا تعبا باكية ، بالهمس العارض ..

تعا .. لي .. على .. عجل ..!

ويستحيل الهمس الى نشيج ..

فاومأت غيمة لاخرى فدفعتاها .. على.. عجل . وتوسلت ببكاء مكتوم :

ــ ها انذا آتية !..

ولاحت يد اثيرية لصغيرة . فتوسلت ثانية ، ان ها هي آتية .. على عجل . وانثاى طيف الصغيرة كالدخان ، حلقات باهتة .. مدت لها يدا ، وقالت .. انها بشوق . كان محياها قد اصطبغ بلون الامل .. والضراعة .. والدهشة . وهي لما تزل اول .. الشوط . فاستشاطت غضبا بدائيا ، واندفعت بفعالية بالغة، ولاحت مرة اخرى ، يد أثيرية .. لصغيرة . فتوسلت ان ها هي مقبلة لن تتأخر . واطبقت بخوف على طيف الصغيرة . ثم .. دارتا .. فراشتين اثنتين .. معا . وحامتا فراشتين .. فى الفضاء .. معا .

وادرك الهواء رئتيهما .. فشربتا منه وعبتا . فهما تفرقان في انتشـاء . وهما تشملان بضمة واحدة .. والى الابد . وتختلط الرؤى . وتشتد ريح ابدية .. وئيدا .. وئيدا . وكانت الام ليست .. في صحوة . شعرت انها تهوي .. من حالق الى اعمق .. وعادت من الحلم .. في صحوة . فبداهما شعور ملح بالبكاء . انها ما تزال تحبها . في قلبها حنو . انها لا يمكن أن تمضي بهذه السرعة . هي تصدق ذلك .. تصدق . وعضت على شفتها السفلى بقسوة ، واتبعتها .. بنصف اغماضة من عينيها الساهمتين . ومع ذلك .. شعرت بميل عارم ، لان تقبل .. الطفل الصغير الراقد في حضن امه .

وها هي تمسي .. نهب احاسيس متناقضين . وانها لا تريد ان تصدق، ان اباها اخفى الحقيقة .. لاجل حصاد جنيها .. وحسب .

انها تحب الصغير ، ذاك .. الذي في حضن امه ، تحبه .. تحبه، بحدق بحنو كملاك . وتعشق كل الاطفال . لكن صغيرتها .. أيمكن ذلك ؟

لشد ما تبدو اضواء المدينة زاهية عن قرب !.. سيجتاحها عما قريب ، حزن صاخب ـ شديد . ستمسك باي انسان وتسأله . فربما يزهر في قلبها الامل الوردي ...

كانت عائدة الى المدينة .. حيث تعمل من جديد . وكان الظلام .. لما يهبط بتمامه ارض المدينة بعد . كان متكاثفا بشكل متمرد .. وثمة طيف صغير .. في خيالها حبيسا .. ما يزال . وانها لتوشك ان تسأل اي انسان ، عن طفلة بعينين نديتين .. مضت ، ووجه ملائكي .. مدور !.. ان النغم يتغلغل بموسيقى الفراق الابدي . وفي نفسها توجس جارف ، ترفضه باخلاص ... وكان المساء حزينا يصلي .. لاجل ام تبحث عن طفلة ماتت في الشهر الثالث .

دمشق — خلدون الشمعة

شعثاء

●

لو تدركين مدى الولـوع لكان اضناك الولوع ،
ولكان « فتفت » قلبك القاسي هيامي ، والضلوع ،
ولصـارت الآهات في عينيـك مدرار الدموع ،
وتبتلت شفتـاك من اجلـي ، وأولعت الشمـوع ،

مهلا ، فلا كان الغموض اذا جزعـت مـن الغموض ،
انا لست ممـن يشردون على متاهـات القريض ،
وانا حفظت العهـد ، لم الجأ الـى الصـد البغيض ،
ونسيت انـت العهد ، والالهام ، والامـل العريض !

وانا نسيت .. وما نسيت سوى جراحاتي ، وحالي
وبقيت وحدك ، لا سواك ، مـع التماعات الخيال ..
حبي وانـت ، ولست اعلم ان انا ، دومـا ببالي ،
امـن العدالـة ان اعـذب في فراغات الليالـي !

وعلـى الدروب ارى الفراغ محدقا من كل جنـب ،
واظـن انك ، في الدروب ، تفتشـين عـن المحـب ،
فارى خيالي ، تحت ضوء البدر ، مطروحا بدربي ،
واظل وحدي راجيـا لو يلتقـي قلـب بقلبـي !

انا ، ان كتبت ، فأنت في احلى الحروف من الكتابه ،
واذا مشيت فأنت لي اصـل الرزانـة والمهابـه
واليك ارجع في الحنين ، وفي السرور ، وفي الكآبـه ،
وارى فؤادي لا يعاتـب غـير من يهـوى عتابـه !

أفبعد هـذا تؤمنـين بأننـي لـم اصـدق ،
وانـا الـذي في الحب لـم افشـل ، ولما اخفق
اني احبـك صادقا ، رغـم الظنون ، فصدقـي ،
وانا اسير ، مـع الوفـاء ، علـى دروب المطلـق !

بئس العناد ، فلا تكونـي في الهوى دومـا عنيده ،
اني احبك ، فارجعي ، او فاهجري ، وابقي بعيـده ،
سترين ، بعد اليوم ، لي في كل شريـان قصيـده ،
« شعثاء » ، اني مشفق ان تصبحـي يوما وحيده !!

فوزي خليل عطوي

اللغة الثالثة في القصة العربية المعاصرة

بقلم عادل الاعور



زالت الدعوة الى العامية قائمة . فهي تكسب وتخسر انصارا . حتى ان بعضهم ليجرؤ على القول انها لغة القصة والمسرحية التي لا يستقيم ، لهذين اللونين من الادب ، عود الا بها . اما انصار (١) اللغة الفصحى فيشددون النكير على هذه الدعوة ، بالدعوة الى الاخذ بلغة القرآن الكريم ، واغفال لغة الدهماء .

والامر لا يستقيم بهذا الفهم . فما دامت اللغة العربية تحتاج الى تبسيط وتيسير ، لا يمكن ان تصم الاذان عن دعوة العامية بالاهمال . ولسنا ، على اية حال ، من هؤلاء الذين يحق لهم الخوض في غمار هذه الحلبة ، او من الذين يجرؤن على ذلك، انما لنا في الامر راي سنحاول ان نجلوه بقدر الامكان .

وسنتخذ ، منذ البدء ، صفة المدافعين عن القصة ، التي نعالجها احيانا ، لارتباطها الوثيق بهذه الامور .

« ان قانون الفن الحق لا سبيل الى مخالفته ، هو ان يستمد الفنان من الطبيعة، ولكن شريطة ان ينتخب ويختار التفاصيل الاساسية ويكسبها وجها جديدا ، ويجمعها و« يبنيها » وفق ايقاع بديهي ، وان يوحي واقعا احيا واشد تعبيرا واعظم توترا من الواقع الطبيعي . ان الفن ليس هو الحياة ، وليس هو صورة دقيقة عن الحياة . ان مهمته ان « يعيد الحياة » ، ان يؤلفها من جديد ، ان يحملها نزعة شاعرية ما . ان الفن يتغذى من الحياة ليخلق شيئا اخر ، هو « الاثر » ، وان الاثر لا يتم عن غير اختيار وتضحيات وتجارب وجهود ، من غير انقطاع سابق عن الحياة يتموضع الفنان بفضله في صعيد اخر . ان الحقيقة في الفن تكمن حيث تتجاوز الحياة الى سمو . وان عبقرية القصة تحيي الممكن ، ولا تحيي الواقع مرة اخرى (٢) . »

من هنا يمكن ان يتضح لنا ان القصة ، وهي اشد انواع الادب التصاقا بالحياة وشبها بها ، لا يجوز لها ان تتبنى الواقع كمادة غفل . بل ان يد الصناع الماهر لا بد ان تتدخل بالامر ، في عملية اختيار لا يقوم الفن القصصي ولا يقوم الا بها .

ان القاص ، من زاوية رصده الواعي للتجربة ، لا بد له من ان يتدخل في انتقاء تضاريس عمله الفني . وان كان هذا التدخل لا يمكن ان يتجاوز حده فيتراقص من ضمن العمل الفني ذاته . هنا التدخل ان يفترق ، ان يسافر .

فالرصد هو اذن استيعاب وهضم ومن ثم تمثل ، او بعبارة ادق ، ابراز وتوصيل . الصورة القصصية تتكىء على واقع ، ولكنها لا تتبناه كلية .

والتجربة لا تقوم على نقل عمل ما ، كعمل في حد ذاته . انه نقل يتصرف ، لا نقل ساذج مغلق . اي ان نقل منظر طبيعي لا يتم بوصف هذا المنظر وصفا مطابقا ، ولا بنقل الاحساس الموحيه ذلك المنظر فقط . انما العملية تستوي بوصف المنظر ، من زاوية معينة مثلا ، واضفاء العاطفة عليه . هو هيكل يحتاج الى روح . بمعنى تزاوج حميم بين المنظر ، كمادة خام ، والاحساس الفني الشخصي بالجمال . بحيث لا يمكن الطلاق بينهما ابدا .

والمادة المتناولة لا تكون تافهة او عظيمة ، في حد ذاتها . انما ما يمكن للاديب ان يضفي عليها من شخصيته الفنية ما يزيدها غنى، ومن قلمه النابض ما يزيدها نبضا. فالادب لا يعرف التفرقة بين المواضيع . كل موضوع ، بغض النظر عن اخلاقيته ، قابل لان يكون مادة ادبية دسمة . والادب الحامل لهذه الصفة عن جدارة ، هو القادر على ايصال تجربته ، من ضمن الموضوع ، بالفاظ يختارها هو . ولا ضرورة للاشارة الى ان الالفاظ ، كمفردات ، مبذولة لكل حامل قلم . ان عملية الانتقاء ، وعملية التوصيل الناضجة هي الفارق الاكبر بين الادباء. هي المانحة للاديب صورته المفردة .

وليست للعبارة دلالة معينة تنفرد بها ، وتتكرس لها ، وتنغلق عليها . ان البلغاء هم الذين « يأخذوننا بفهم جديد غير ما يفهم من حرفية العبارة » كما يقول ارسطو .

والاديب الحق هو من لا يغفل استجابة القراء . بمعنى ان الفاظه تبقى فقيرة فاقدة للحرارة ان لم تختمر التجربة، في داخله ، ومن ثم تخرج الى القراء مجلوة مؤداة – اي التجربة – بالفاظ مفهومة منهم . لا من توهم الاديب ان قد فعل ، فحسب .

واذا كانت هذه ضرورة القصة ، كفن ، فلا يسعنا ان نغفل لغة الحوار في هذه القصة . وبالتالي لا بد لنا من دراسة هذه اللغة .

اذا كنا اتفقنا ، وهذا امر مسلم به ، على ان الفن لا يمكن

---

١ – لعل « اصحاب » اصح .

Nelly Comeau — Physiologie du roman.

٣ – الهلال : اغسطس ١٩٥٩   ٤ – تشهد بذلك كتبه   ٥ – تعرضت لذلك في رد على وديع فلسطين . الاديب : مايو ١٩٥٧

٦ – نود ان نشير هنا ، بصفة خاصة ، الى اننا مدينون بتسمية « اللغة الثالثة » للدكتور محمد مندور ، تجوزا ، كما قال . تسميتنا اشمل ومغايرة . وبالمناسبة قد يكون من المفيد ان نشير الى محاولات بعضهم في وضع كتب تدرس الفصحى في العامية . لكنها عملية نظرية لم تطبق ادبيا .

٧ – الهلال : اغسطس ١٩٥٩ .

٨ – هذا اذا ما قبلنا ، جدلا ، وقوف الفصحى امام العامية وقوف الند للند .

ان يكون مرادفا للواقع، بل امكان الوقوع ، جاز لنا ان نعتبر « لغته »الواقعية ــ التي تتمثل باللهجات العامية لدى بعض قصاصي العربية ــ لغة ساقطة لا تحوز ابسط قواعد الفن. بمعنى ان الدعوة للاخذ بها دعوة جاهلة ، فنيا ، ومتعسفة. اذ تعمل على تقليل اهمية الفن الذي يتعالى عن محاكاة الواقع ببفائيا . فالصورة الادبية الواقعية ، هي غير صورة الواقع الحرفي .

ومن هنا نسمح لانفسنا بالقول :

ان لغة الحوار في القصة لا يجوز ان تكون ، بحال من الاحوال ، لغة متشعبنة (اي مأخوذة من الشعب) ولا باللغة المتقعرة الموغلة في الفصاحة . انما هي لغة تستشكف من اللهجة (لا اللغة) العامية كلمات ذات جذر لغوي يمكن لها اذا ما حورت ، ان تستوي حية الى جانب اخواتها الفصيحات .

وهي ، اذن ، بمثابة معادلة قوامها :

« اللغة العربية الفصيحة ــ الصحيح من الالفاظ العامية ــ الالفاظ الضروزية من العامية » على حد قول نجيب محفوظ الروائي المصري (٣) .

ولا بد لي ، هنا ، من ان اشير الى جهود استاذي مارون عبود (٤) في هذا المجال . فهو اول من دعا عمليا ، في ما اعرف ، الى الاخذ بهذه الاسس في كتابة القصة . ولعل ان قارئي ادب مارون عبود تصدمهم ــ على حد تعبير احد المتادبين ــ هذه اللغة الوسط في ادبه ، والتي يعدها بعضهم دلالة ركاكة ، في حين انها عملية توفيق عميقة الجذور ، تدل على نظرة « فلسفية » خاصة في استعمال اللغة . وبالتالي هي حجة لنا ، كعملية توفيق ناجحة بين الفصحى والعامية . ويكون بذلك اسبق من محمد تيمور الداعي الى « العامية الفصحى » ، (٥) .

ومن توفيق الحكيم في مسرحية « الصفقة » . (٦)

وعلى هذا يستقيم لنا ان نقول :

ان اللغة « الثالثة » قد اخذت دربها القويم الى القصة الفنية الحديثة . وعلينا ان نعمل ، اذا ما استقام لنا الامر ، على تأصيل هذه التجربة والاخذ بها في ادبنا المعاصر .

يبقى ان نستقرىء كل ما قد تصل اليه اليد من قصص مكتوبة بهذه « اللغة » التي نراها الاجدر بالاخذ والعمل لها ونشرها ، محاولين ان نشيد بجهود من عمل لها ، وكتب بها .

ليس للغة العربية مناص من تيسير نحوها . هذه دعوة وجيهة لا اظن واحدا يزعم انها دعوة شعوبية . انما هي ضرورة اجتماعية قومية في سبيل ردم الهوة الفاصلة بين الفصحى والعاميات .

ان الدعوة الى استعمال « اللغة » العامية ما زالت مستمرة ، وان اخذت تخسر بعض مناصريها . الا ان الدكتور عز الدين فريد، عميد كلية الاداب بجامعة القاهرة، والدكتور محمد رشاد رشدي استاذ الادب الانكليزي فيها (٧) واخرين ، ما زالوا يدعون الى استعمال العامية في القصة والمسرحية . ولعلنا لم ننس مقدمة الشاعر سعيد عقل « لجلنار » ميشال طراد ، المكتوبة بالعامية اللبنانية .

واقتصاري على ذكر اسم دكتورين يعملان في كلية اداب القاهرة ، بصفة خاصة ، هو لطرح السؤال الاتي :

او ليس تبني دكتورين ، في كلية محترمة ، مثل هذا الراي ما يعطي للموضوع صفة العطف الرسمي ؟

اهو راي شخصي بحت . ام حرية راي ليس غير ، ومع استبعادي للامر فليس من مناص للتساؤل .

ان الدعوة الى (لغة ثالثة) تتبنى العامية المفصحة ، او ذات جذر فصيح ، هي الدعوة الاكثر رجاحة ، المتميزة بتطوير يماشي السنن ، ولا يفرض الامور فرضا .

انها الدعوة الاصح . وحدها التي يمكن لها ان تهدم الدعوى(٨) القائمة بين الفصحى والعاميات من الاساس .

عادل الاعور

وحدي مع الايام

مهداة الى صاحبة ديوان وحدي مع الايام

الشاعرة فدوى طوقان

لمحمود محمد كلزي

القامشلي

لا صوت .. لا ايقاع .. غير الليل يجتر السكون
وذبالة من شمعة سكرى يرنحها الظلام
لا شيء حولي غير أوهام
تصارع في فؤادي قصة العدم الرهيب
وتضج متعبة .. مهلهلة .. كأسراب الغمام
وتسير للاشيء .. للعدم الرهيب
من دون ذكرى حلوة او مرة
من دون احلام ملونة العيون
من دون بارقة من الامل الملفع بالغيوب
وحدي هنا .. والليل يجتر السكون
وصرير باب الامس .. تصفعه الرياح
فتحيله وهما .. رمادا ضاع في جفن الصباح
كالصمت حين يضيع في قلب الضجيج
وكما يموت الظل .. في النور البهيج
وحدي أشيع امسي الماضي
واخنق ظله الممتد كالشبح المقيت
كاللعنة السوداء .. كالالحاد .. يطرده اليقين
وحدي مع الايام مذ ولى أبي في هوة العدم المميت
وبقيت وحدي..لا صداح..ولا ندى ..غير الجفاف
غير الصقيع ..
غير الليالي السود تأكل من عيوني .. من ضلوعي
وتشدني لنهايتي في هوة العدم المريع ..
وبقيت وحدي ارمق الايام وهي تميت في قلبي الحنان
لا أم لا أب لا صدى لا لون في هذا الزمان
هذا الذي يعدو كمركبة كسهم راح منطلق العنان
ومضيت أعدو خلفه .. للانهاية .. للامان
وغدوت ألهث .. من لغوبي .. من تباريح الطريق
تلك التي قد غصت في وعثائها
واضعت في ظلماتها معنى الرفيق
الكل يعدو .. دون وعي .. دون ايمان عميق
ويهز هذا الكل احساس بضيق
جسد يعيش مع الغرور ..مع الضغائن .. في العروق
او غيرة حمقاء تسحقه .. وتقذفه بأتون سحيق
ليعيش كالطفل الغريق ..
وحدي مع الايام..وحدي.. لا رفيق ولا صديق
غير الليالي السود .. تأكل من ربيعي .. من عيوني
كل البريق ..
وذبالة من شمعة سكرى يرنحها الظلام
فتذوب وهي تحدج الامس المكفن بالرغام
خلف الضباب .. وخلف آفاق الغيوب !

قصة

السرطان الاعوج

بقلم يوسف مقدسي

الخواجه اسطفان ليست غريبة عن حينا ، انها لم تنته بعد ، بل تزداد فصول بؤسها مع ازدياد كره معارفه وتبرمهم به . فهو اشبه بوعاء مهترىء مملوء بالقمامة ، مطروح في قلب الحي وعلى جوانبه ، تمتد الايدي اليه من كل صوب ، لتقذفه امام منزل اخر من مجموع البيوت المتكاثفة المتساندة بكسل على بعضها في تشكيلة قديمة غريبة ، او تركله طعنة حقد من حذاء اثير صاحبه طوال يومه .

والخواجه اسطفان ليس شخصية فريدة من نوعها ، فامثاله كثيرون في مدينتنا ، تراهم على ابواب الحانات منتظرين عطف مخمور ، او مشلوحين اواخر الليل في جوف الازقة يتدثرون بغطاء كثيف جدا من الفراغ الاسود ... كل ما يميزه عن الاخرين من اضرابه انه كرس حياته الباقية للحصول على كأس واسعة من عرق محرق يغرقه قعرها العميق في لجة يستحيل الخروج منها ...

كان هناك اكثر من سبب يدفعه ليسعى وراء « البطحة الموهومة » فقد اتفق انه عندما كان في اوج شبابه وعمله ، ان ملأ والده مكان امه الميتة بخالة انتشلها من احضان النسيان الابدي. ومع كونها اشتهرت باخلاقها الفاضلة التي اظهرتها خلال ترددها على منزلهم فانها بعد الزواج انقلبت الى اكثر من قنبلة يدوية صدئة انفلتت من يد كهل غريب الاطوار ، واختبأت بعيدا عن نظره .

ارادت ان تغير كل شيء في المنزل منذ اللحظة الاولى وخميرة العرس لم تجف بعد على جبين الحائط . فهي تشعر بأن الدهر العميق المظلم الذي سكن قلبها قرابة اربعين سنة ، يتفجر حقدا وانتقاما من كل شيء : زوجها وابنه ، البيت واثاثه نفسها والعالم اجمع ... بدات تطلق سهاما من شرر ذاتها الملوثة بالظلام والابهام على الكل ، والكل بدون تفريق .

حدث ذلك كله عندما كانت حيوية الخواجه اسطفان وطاقاته تفكر هي الاخرى بالزواج ... لقد خجل باديء الامر من سلوك ابيه الطائش ، فهذه الصدمة المباغتة بلبلت ذهنه كثيرا ، مثيرة اعصابه واحساساته ، رغم تبرير والده الحادثة بقوله :

— البيت من غير امراة كجسم بدون قلب .

لم يعلق الخواجه اسطفان على جواب ابيه ، لانه يؤمن ايمانا مطلقا ان منزلهم بحاجة الى امراة تخصه هو لا اباه ... زوجة تعوض عليه حنان والدته ، كسعادة طفل صغير يعبث بثدي امه ... لقد آمن بذلك منذ احب جارته ياسمين ، وكرس قلبه لها في ليله ونهاره ، وجميع لحظات عسره ويسره ، فهي تعيش داخله كمزمار صغير يداعب نغماته ريح ربيعي من غير ضجيج ، يضحك كالهمس ، ويبكي بلا دموع .

والخواجه اسطفان كانسان عادي بسيط لم يكلف نفسه عناء حل هذه المسألة الصعبة ، غير انه حقد وتألم ، اذ بدات حبات من القلق تكبر وتتضخم وهي تنقر من قلبه المتأجج المرتجف ، لقد فهم القضية من وجه واحد يتعلق به وحده ، شاهد انانية والده تبرز في نظراته النهمة ، وحاجبيه الملتصقين الملتقيين تحت جبهة ضيقة ، وفي هيكله الكبير البشع ، ثم على شفتي خالته الغليظتين المنفرجتين دوما ، ووراء نظراتها المختبئة بين اهداب اجفانها كسنابك غابة موحشة .



ومع تدافع الايام كان يحس بأن اواصر استقراره تتفتت وهي تترك آثارا ضبابية في كل خلاياه ... الصورة التي حفرها في قلبه بدات تذبل .... روابطه مع ابيه تتحول الى عداوة وبغض ... حتى البيت الذي رعاه وحماه لم يعد يحمل له الشوق الذي خصه به دون المقهى او الشارع ، او اي مكان اخر .

فاجأته زوج ابيه في صبيحة يوم بلهجة فيها غصة من الاسى والحنو الحار :

— انا يا اسطفان بالنسبة لك اكثر من ام وصديقة ، فلماذا تقتصد حديثك معي ؟... الا تثق بي ايها الحبيب ؟... آه .. لا بأس ... ان حنان الام الزائد على ولدها يجعل النكد شيئا مألوفا بينهما .

من المؤكد انه قليل الكلام معها ، فقد تحاشاها منذ بدء تملكها منزلهم، تعامى عن نظراتها ، واقفل اذنيه خشية لسانها ، وهرب من مجالسها ... ظن ان البعد عن هاتين العلقتين اللتين تحفران بئرا من الالم داخله افضل بكثير له ...

استغرب هذه اللهجة التي خصته بها زوج ابيه اذ كان لا يتوقع منها هذه المعاملة الرقيقة ، وسألها بتجاهل : ماذا تقصدين ايتها الخالة ؟ ولم تجبه . ومع ان صمتها الطويل قتل لحظات كثيرة لم يمنع الخواجه اسطفان من متابعة التفكير باشياء كثيرة.. لماذا انقلبت هكذا من دودة صلبة الى اخرى فمها مرن؟ وهل تقصد شيئا من خلال دفء كلماتها ؟ ربما تبغي مراضاته ؟ لا بد انها تريد المزيد من ماله؟ اليس هو دعامة البيت الاولى؟

ودخلت ثوان اخرى جوف الدهر المطلق بصمت مميت ، وجفاء ، واستفزاز ، وكره ... اسئلة كثيرة طرقت مخه والخالة لا تجيب . كان مضطربا لدرجة ان قدميه تبادلتا مكانيهما في حذائه . ضحك باستياء

شديد وفمه مغلق ، نظر اليها بقسوة، وسمر عينيه على رأسها ، وهي تفتعل الانشغال بأي شيء ... الخوان ... الثياب ...

كان خائفا من ان تلتقي اعينهما ، ظهر انفعاله القوي من ارتجاف جسمه المشوق ... شعر بشجاعة هائلة تتدفق منه كشلال وصاح :

ـ اجيبي يا مفسدة الصباح ؟..

وبغتة احتضنته بعينيها ، فازداد اضطرابه واشمئزازه ، وتقلصت شجاعته ... وابتسمت وهي ترميه بكلمها :

ـ وماذا يأتي بعد الصداقة ؟. اني احبك اكثر من ابيك ايها الشهي .

غاض الدم في وجهه ، وارتعش بعنف، ومرت غمامة سوداء اكتنفته بلحظة شرود ، واقترب منها غارسا اصابعه الجافة في كتفيها وهزها بقوة :

ـ انت يا ابنة البؤس تعرفين الحب ؟. انت برميل زفت وسخ .. لا .. لن ادعك تلوثيني كما لوثت عمري الذي كان سعيدا هنيئا قبل مجيئك ...!

كانت تحشرج بألم وتئن بين يديه حين بصق عليها بقرف وتركها . ولكنها لم تسكت بل استطردت بجراة :

ـ ليس الحب عيبا ايها اللذيذ ، لقد تزوجت اباك لاني كنت اشتهيك ، ان والدك جلف جاف نتن، وانا اريدك انت . او غيرك من الشباب ...!

●

ونجحت في تمزيقه وفصله عن كل سعادة عاش معها ، دخل ذات مساء حانة فخدرته وانسته بعضا من افكاره التي تطن وتتصارع داخله ، ورغم انه لم يستطع دفن مشاكله كلها في الكأس عدا الغثيان ودوار الراس ، افلحت عادته الجديدة في السيطرة عليه ، وقيادته الى الاتون المحرق .. المحرق .. شرب لفافة ممزوجة بالحشيش فحصل على لذة لا بأس بها ، لقد استراح قليلا اذ تبالد ذهنه وتشنج ..

وتوالت الكؤوس تتبعها اللفافات والنزهات على «كورنيش» البحر ، ثم الاستلقاء على الشاطىء البعيد فوق الرمال الرطبة الداكنة .

وفي ليلة ما لم يعد الى البيت ، لقد تبادر الى ذهنه عد الخطوات التي تصل الشاطىء بالحي ، وسرعان ما نفذ الفكرة.. كان يخطىء بعد كل مسيرة قصيرة ، فيرجع ثانية من جديد .. وهكذا الى ان صحا مع الصباح .

وتجاهل اهل الحي ضجيج ابيه الذي كره السؤال عنه ، فهذه الحوادث كثيرا ما حصلت .. جرجس العتال .. الصابونه .. سعيد الاطرش .. وغيرهم .. هم مثله واكثر .. بداوا بدايته ... كانوا شبابا وانحرفوا .. غضب الله عليهم لانهم لا يستحقون رحمته !..

ومات والده وهو خارج البيت ، وتمسكت الخالة بالمنزل تمسك الحية بجحرها اثناء الشتاء ، وتصارعت مع اسطفان الذي حاول طردها منه ، وفشل .. ومنذ ذلك الحين لم يرجع اليه ثانية .

طرد من عمله بسبب تأخره، وفقد شخصيته وهندامه ونظافته . كان عندما يرى حبيبته ياسمين يضحك ويلكز اقرب رفاقه الكثيرين :

ـ انها لا تلتفت نحوي الان، وهي التي تركتني اقبل جسدها البض كله، ويجيبه احدهم :

ـ ان النساء ايها السرطان الاعوج سبب شقائنا جميعا ..

ويتمتم بشرود وبرود

ـ هذا صحيح .. هذا صحيح..

كان الصمت مشتركا بين «شلة» الخواجه اسطفان ، واذا ما تكلم احدهم فانما يسأل عن وسيلة تدر عليه ثمن كأس .

قال الصرصور ـ رفيقه ـ في لحظة سكون رهيبة وهو لقيط شارع

ـ ليتني املك مليونا من الليرات ؟ حتى أ ...

وقاطعه الخواجه اسطفان :

ـ لا تحدد المبلغ ايها الصرصور ، فان اردت الصدق فالمليون لا يكفي، لان الذي يشرب لا يعد الكؤوس .

ـ نعم .. نعم ..

والحصول على القرش في بيئتنا شيء صعب للغاية اكثر من بذل مجهود شاق في عمل مرهق ، كان الخواجه اسطفان اذا ما صدف احدا من اثرياء الحي يتبعه كالظل وهو يغمغم وراءه :

ـ احم .. احم.. هل تريدخدمة يا سيد ..

واحيانا ينقده السيد بعض الدراهم فيغيب عن انظار الكل وينحشر في حانة ابي جميل ، المنتوف الذقن الذي يبادره على الفور :

ـ ماذا تريد

وكالديك الرومي كان الخواجه اسطفان ينتفخ ويصيح :

ـ خذ ايها العاطل ..

ويكرع الكأس دفعة واحدة، ويزفر تنهدة عميقة .

ويصرخ ابو جميل مباشرة :

ـ والان هل تريد شيئا اخر ؟

وعندما لا يتلقى اي رد ينفعل ويمسك الخواجه اسطفان من قميصه وينهره بجفاء وخشونة :

ـ اخرج ايها البعوضة .

ـ لا تتجبر يا ابا جميل .. هه.. الذنب ذنبي لاني اخترتك بدل كامل وابي زينه .. طيب .. طيب ..!

ـ اخرس انت بمقدورك مص خمارتي كلها

ـ وانت سرقت اموالي ايها الكافر

ـ اغرب عن وجهي ايها السرطان الاعوج .. لعنك الله .. لعنك الله .

وسكان حينا اشبه بامرأة بتول لا تأخذ شيئا غريبا عنها ، وان اعطت فبحرص . لقد حبسوا صدقتهم عن الخواجه اسطفان وان اعطوه بعد لاي فانهم يضحكون منه ويسومونه العذاب والسخرية اضعاف اضعاف.

كان محط كره الكبار ، وتسلية الصغار ، خدعوه مرة في شتاء صرصر ببطحة واخذوا سرواله ، فهرول في

اعتراف

يا جارتي لا توقظي حنيني ... دعيه يغفو اخضر الجبين
حبسته في خافقي لم تكتحل ... بالنور عيناه ، الا دعيني .
لو تعلمين السر ما قلت ابتسم ... يا جارتي خير لك اجهليني
قالوا بأني ذات يوم اربد ... ولدت في ذات مسا حزين
في بيت فلاح أثاث بيته ... قدر قديم وقفير تين
وغصة ـ يا جارتي ـ كنت له ... لما اطل الدنى جبيني
لا فحمة في بيتنا كانت ولا ... زيت ولا كف من الطحين
والثلج ـ قالوا ـ كان يهمي عاصفا ... بقسوة مزارع الزيتون
الشمس ما رأيتها من يومها ... فالليل خلفي مسدل ودوني
اما السماء صفحة مرقومة ... سطورها بالحقد والشجون
يا جارتي لا توقظيني انني ... احب بين الناس من يسلوني

حقيقتي لو تعلمين كنهها ... لو حكت العيون للعيون
لكنما عيناي صلبتا فلا ... تتحدثان وشدتا لجفوني
يومي كصحراء على كثبانها ... تعدو رياح البؤس والمنون
ظل وجودي ، ظل وهم حائر ... لا يرتجى لمتعب محزون
كفاي كفا قاتل يا جارتي ... دم الضحايا هاتف يدعوني
اخشى اذا سلمت كفي لطخة ... موبوءة بعاري الملعون
يا جارتي ما لي ضمير عفته ... القيته خلف جدار الصين
نزعته ذات صباح بيدي ... مضغته . بصقته .. العنيني
لا قلب لي قتلت فيه ثورتي ... حطمت احساسي الذي يشقيني
عدت الى ارضي الى حقيقتي ... ظلا حقيرا لحقير طين

دمشق **توفيق صرداوي**

الازقة كالملسوع عاري الساقين يرتجف بشدة ، ويبكي بمرارة ، دون ان تأخذهم عليه اي شفقة او عطف، والاولاد يركضون وراءه وهم يصفقون ويضحكون ويغنون :

السرطان الاعوج عريان .
ومخه بالعرق غرقان ..
واليوم نسي الخواجه اسطفان ،

او السرطان الاعوج الحذر او الخوف تراه في كل مكان ، عمره نصف دهر طويل ، منحني الظهر ، اعوجه ، لا يرى اكثر من بحيرة عرق يرسمها حوله، وهو يغيب في ظلام، زقاق معتم .

اللاذقية **يوسف مقدسي**



ساق على الدانوب

ديوان شعر ـ لهلال ناجي ـ ١٩٢ صفحة ـ مطابع دار العلم للملايين ـ بيروت

•

هلال ناجي شاعر ، تتجسد في مشاعره الاماني القومية ، وتنطق شمائله عن روح عربية اصيلة ، فهو مثال رائع للفرد العربي الواعي الملتفت الى امجاده القومية بروح يملؤها الاعتزاز .. المتطلع الى حاضر أمته بعين متفائلة تزخر بالامل الكبير .

ولقد كان للتيارات التي طرأت على حياته اعمق الاثر فى تكوينه ، وانصهار فكره ، فقد نشأ نشأة عربية خالصة حققت له الانسجام بين اسلوب حياته ومجرى تفكيره . لذلك نرى اي دعوة تهدف فى مضمونها الى بعث الامجاد العربية نجد لها توافقا فى نفسه ، وصدى متجاوبا للنداء الذي يرن فى اعماقه .

اردت بهذه التوطئة ان اجعلها كمدخل لدراسة ديوانه الجديد الذي اصدره هذا العام ، ونشرته دار العلم للملايين ، لاتناول على ضوئها المؤثرات التي زخر بها هذا الديوان ، فقد ضم بين دفتيه بعض القصائد من باكورة مطبوعاته «صلاة المغيب» وديوان «اذكرينا» اللذين طبعهما مسبقا ، وآثر اخيرا ان يجمع بعض شعره القديم والجديد فى سفرواحد ليمثل جميع الادوار التي تعاقبت فى حياته ، فكان هذا الديوان الذي اختار له هذا الاسم الشاعري ، وهو «ساق على الدانوب» .

يخيل للقارىء من عنوان الديوان ان هذه المجموعة تحتوي كلها او جلها على قصائد عاطفية ليس لها صلة بالشعر الملتزم، وتقتصر مواضيعها على شعر الحب والغزل ، ولكن القارىء حين يتصفح الديوان يجده مقسما الى موضوعات ثلاثة ، يحتوي القسم الاول منها «انفاس عربي» على شعره القومي والسياسي ، كما يتضمن القسم الثاني «حكايا عبير» على شعره فى الحب والغزل وعلى بعض من ذكرياته العاطفية فى اوروبا ، اما القسم الثالث فيشتمل على بعض المقاطيع التي قالها فى مناسبات شتى وفى مواضيع مختلفة . .

حفل القسم الاول من ديوانه بقصائده الوطنية والقومية والتي نظمها فى مناسبات مختلفة ، فقصائده كلها فى هذا الباب تزخر بانفاس عربي مؤمن بقضيته .. يقارع الاستعمار واعوانه ، ويتغنى بامجاد امته فى عصرها الذهبي الافل ، ويتطلع الى وحدة وطنه الكبير الذي جزاه الاستعمار . ففي قصيدته «الوحدة الشاملة» يصف المشاعر المشتركة فى محيط عائلة من عرب العراق ومن بينها طفلها الطموح الصغير الذي لم يبلغ الثالثة من عمره ، والذي اقتصرت لعبته على مدفع صغير يصوبه ضد العدو المستعمر ، وهو يتطلع الى القائد العظيم الذي سيحرر الوطن العربي الكبير ، ويوحد هذه الاجزاء المبعثرة ، فنجد الاب تغمره النشوة فيتحدث عن شبله الصغير فى تساؤله البريء وهو قرير العين :

ويمضي يسائلني فى حنين
فادعو الاله
ليمنحه حفنة من سنين
فيدرك وحدتنا الشاملة

اما قصيدته «لقاء العربية» ففيها يتجلى شعوره العميق نحو ابناء امته العربية ، فما يكاد يلمح فى «بافاريا» اثناء تطوافه فى اوروبا فتاة من لبنان حتى يتبدد عنه شبح الغربة ، فيتنسم فى شخصها نفحة من بلاده ويعاوده الحنين الى وطنه ، فيطلب من سائق الاوتوبيس ان يتريث فى السير :

خفف السير فبين   الركب شماء زكيه
من صبايا الارز من   فيء شجيرات نديه
خفف السير لاستاف   زهورا يعربيه
واشم الارز في لوحته   الريا الشذيه
واملي الطرف فالغربة   صنو الابديه

ولا يقف شعوره عند هذا الحد بل يرى نفسه غريب الوجه واليد واللسان فى هذا النعيم الذي يتمتع به فى بلاد الغرب ، فيستشعر بوحشة تطغى على احاسيسه ، فيخاطب سائق الاوتوبيس مرة ثانية فى نشوة من الاعتزاز :

انت لا تدرك ما معنى   لقاء العربية
طاطىء الطرف اخا الغرب   فهذي علويه
لست اهوى الخلد ان   لم تحو دنيا عربيه

ويطوف الشاعر فى حديقة الحيوان بقصر شنبرون فى فيينا ، فيرى بين مئات الحيوانات جملا محبوسا فى قفص ، غريبا فى بيئة غير بيئته ، فالجمل هو ابن الصحراء العربية الذي اعتاد الشاعر ان يراه منذ نعومة اظافره ، فيعز عليه ان يراه فى منفاه بعيدا عن وطنه، فيهز شعوره هذا المشهد فيناجيه بهذه الهمسة الشجية :

فى وحدة قاتلة فى مدرج الجبل
لا شمس لا رمال لا صحراء يا جمل
لا نور لا ضياء لا شيء سوى المقل
تجيء فى تطفل كزائر طلل
لترقب الغريب

فى المحبس الرهيب .. لا ناق لا حبيب .. وانت يا جمل ... مغرورق المقل ... فى شنبرون الازل .. حتى يوافيك الاجل ... وارحمتاه يا جمل ..

ونستطيع ان نربط هذا الاحساس العميق فى هذه القطعة بقصائده فى «صلاة المغيب» التي تبلورت بفكرة «الانصار» فى تقديس البيئة العربية وتمجيد الصحراء ، فالشاعر الذي تقلب فى حياة النعيم والترف فى بلاد الغرب نراه مشدودا بخيوط من تلك الذكريات التي حفلت بها طفولته لم تفارقه لحظة ما ، والتي نلمسها فى تلك القصائد التي نشرها فى الديوان ، والتي تزخر بحرارة العاطفة ونقاوة الايمان وبراءة الحس ففي قصيدته «اذان الفجر» نجد هذا الاثر ظاهرا اذ يقول فيها :

وفى الافق الحاني خويط محبب   اضاء فدوى ذلك النغم البكر
الحن الاذان العذب هاتيك اكبد   تذوب اذا ما سال وابتسم الفجر
كبود شباب خاشع لا مدجل   ولا مرتد ثوب التقى اذمضى العمر
كأن قلوب الخاشعين معابد   تردد فى احنائها الاي والذكر

ويقول :

لنا ها هناك ذكرى وفى تلك وقفة   وعند البوادي الغر مرتقب بر
كان الورى اطراقة ازلية   تحن الى اللحن الذي كله شعر
دنا الفجر والارواح شاخت بموطني   فيا باعث الاصباح هل يطلع الفجر
ويا باعث الاصباح هل ثم هزة   من القفر ام اغفى على نفسه القفر

فالشاعر يرى ان القفر هو الافق الذي تشرق منه الرسالة العربية دائما ، كما سبق ان اشرقت اول مرة حاملة لواء الاسلام ، وهذا البيت ـ كما ترى ـ تعبير عن شعار فكرة «الانصار» التي تخط رسالتها على اديم الصحراء .

ويقول فى قصيدته «صلاة المغيب» التي يتغنى فيها بالبادية :

على رملـــة كالسنا حــالمه   سجدت الى مبدع عــالمــه
سجدت وملء اهابي الخشوع   كأن الدنى صور غــائمــه
ويــا رب انت معيـــد الهدى   الى انفس لــم تزل هائمـه
هنــاك هنــاك بتلـك الرمــال   ارى عرس الانفس الصائمـه

ويظهر هذا الاثر واضحا فى قصيدته «الشتاء فى الصحراء» التي عاش تجربتها فى اطراف البادية ، والتي يقول فيها :

دع القصران القصر يخشى اذى الحيا   وعج للبوادي انها البشر والطهـر
هي البيد قلب بالمروءات خافـق   فحي بطاحا نبتهــا الخير والبشر
سرى البدر يا للبدر فى روعة السرى   اذا حيت الصحراء هاطلة بكـر
تجن نجوم الليل حبــا مبرحــا   ويفضح ذاك السر ذيالك البدر
مشــاهـد اضفاها شــتاء محبب   على البيد لما قبل الرملة القطـر
اعد يا شتاء البيد مجدا مضيفا   دهاه شتاء الدهر فاحلولك الشر

اما قصائد القسم الثاني من الديوان «حكايا عبير» فتتميز بالنزعة الرومانتيكية فقد حفلت اكثرها بذكرياته العاطفية فى بلاد الغرب ، ويذكرنا بنزار قباني فى بعض مقطوعاته ، فنجــده يلتقي معه فى هيــامه بالمشط الاسود والطيوب والعطور ومغامراته مع الملاح ، فمقطوعته «غيبة مـــن باريس» التي يقول فيها :

ووقفت فى الركن الامين
تتصيدين وتقنصين
وغمزت لي فاجبت بائعة الهوى كم تطلبين

تذكرنا بقصيدة نزار قباني «طوق الياسمين» التي يقول فيها :

وجلست فى ركن ركين تتسرحين
وتنقطين العطر من قارورة وتدمدمين

وفى قصيدته « عابد البدن » يلتقي مع نزار قباني فى وصف مباذلــه حتى تتلاحم الموسيقى ويأتلفان فى التعبير . فهو يقول :

الشارع الوسنان يرمقني
ومباءة حمراء تزهدني
الخزي مثل السم فى بدني..

بينما يقول نزار على لسان عشيقته :

القيء فى حلقي يدمرني
واصابع الفتيان تخنقني
وورثك المشئوم فى بدني

غير ان هناك مفارقة بينه وبين نزار قباني ، فعلى الرغم من التقائه معه فى تصوير تلك الاجواء الحافلة بالمغامرات العابرة والمباذل الرخيصة فهو يفترق عنه فى ناحية واحدة .. ذلك انه لم يعد ينسى نفسه بانه عربي شرقي ، فشعوره هذا يخالجه فى كل لحظة يثير فيه نشوة مـــن الاعتزاز بامجاده وتاريخ امته ، ونجد هذه الظاهرة بارزة فى قصيدته «ساق على الدانوب» اذ يقول فيها :

ردي فســاقــك برعـــم   اخشى عليـه لهيب وجدي
انا يــا صغيرة مـــن انـــا   ذوب المكــارم مـــن معـد

وقوله فى قصيدة «مرقص النخيل» التي استوحاها من مرقص بالميراس الاسباني بمدريد :

يا مرقص النخيــل اني هنـــا   والبــدر والانجــم شرقيــه
فقـل لالحــانك ان تنتشــي   انـــا المــواويــل الخرافيه
هذي العيــون الشهل من موطني   والســالف الاسـود شرقــي
ورقصــة الاسبان فى زهوهـــا   ترجمهــا للغرب عــربــي
يا مرقص النخيل مدريـــد كم   تهفــو الـــى صحو ببغــداد
انــا المشـع الدفء فى مـوطن   نجمــاته مـــن ارض اجـدادي

ويتجلى هذا الشعور اكثر فاكثر فى مقطوعته «ثمــر» اذ يقول فيها :

انــا ان اذق ثمــرا واطعمـــه   لا تنكــري ابنـــاء بغــداد
فنســاء مدريـــد وصبيتهـــــا   احقـــاد قينـــات لاجـــدادي

اما القسم الاخير من الديوان ، والذي اختار له عنوان «من صميم الحياة» فهو عبارة عن مقاطيع تتضمن خطرات عابرة يدور اكثرها حول مشاكل الحياة اليومية والعلاقات الشخصية .. اذا استثنينا منهـــا مقطوعة « يا صديقي » ومقطوعته فى رثاء عمته .

بقي ان نتحدث عن شعره من حيث التطور الذي طرأ عليه ، هناك نجد بين قصائد واخرى اختلافا كبيرا فى المعنى والمبنى حتى لا تكاد تؤلف بينها وحدة منسجمة سوى ان قائلها كلها شاعر واحد ، فنراه فى شعره القديم كلاسيكي الاسلوب مولع بالتصريـــع والالوان البديعية الاخرى متأثرا فى اغراضه ومعانيه بفكرة «الانصار» واذا تعداها فالى مواضيع تدور حول المناسبات الوطنية التي درج على اساليبها غيره مـــن الشعراء المخضرمين . بينما فى شعره الاخير نزعة تجديدية ، تتخلله رومانتيكيـــة احيانا وانطلاقات شعرية تذكرنا بنزار قباني .

اما المآخذ التي تخللت الديوان فهي متنوعة ، فهناك اخطاء عروضيـــة ونحوية ولغوية قليلة ، فقد جاء فى صفحة ١٥ زيادة تفعيله فى هـــذا البيت : انا ادري ايها العسجد ما تحويه من دنيا شهية .

والقصيدة من مجزوء بحر الرمل ، ويتألف كل بيت منها من اربـــع تفعيلات بينما جاء هذا البيت متألفا من خمس تفعيلات .

وجاء فى صفحة ١٠٤ هذا البيت :

وتسابقت ضفتاك فى فتن   تاريخهـــا حكاية عجب

ولا يستقيم صدر البيت الا اذا خففنا التضعيف فى كلمة « ضفتـــاك » فنقع فى خطأ اخر .

وجاء فى صفحة ١٧٨ هذا البيت :

شتـــان ما نفس كذوب الندى   وانفس فى الوحـــل مستلئمة

وفيه عيب عروضي يسمى بسناد التأسيس ، اذ ان القصيدة كلها جاء فيها الف التأسيس . وهو الالف الذي يلي الحرف المتحرك الفاصـــل بينه وبين الروي .

اما الاخطاء النحوية فمنها قطع همزة الوصل فى قـــول ص ١١ فابصر بينهم ابـــن امي .

وقوله ص ٥٧   هتف باسم الله فاغاث خافق

ومنها جزم المضارع بان المصدرية الناصبة فى قوله ص ٩٦

فقل لالحانــك ان تنهمر   انا المواويل الخرافيــه

ومنها نصب الاسم المنقوص بحرف الجر فى قوله ص ١١٥

اطوف بعيدا وامضـــي الى   دوالـــي رماننا الشيــق

وورد عند الشاعر اخطاء لغوية كقوله ص ٣١

من الساطرين على الصافنات   صحائف من رائعات الحقب

والساطر لغويا « القصاب » ولعله يقصد المسطرين .

وقوله فى صفحة ٤٧

سلام من الشاعر الصامـــد   الى رسل كالسنـــا الواقد

والخطأ فى كلمة « واقد » واسم الفاعل مـــن هـــذه المادة اللغويـــة « المتوقد » كما تنص عليها معاجم اللغة .

هذه ملاحظات عنت لي وانا اقرأ الديوان ، فقد عشت معـــه ساعـــات اسرح وامرح حتى انساني حرارة الصيف وصخب الحيـــاة ، فاشكـــر صديقي الشاعر الحر هلال ناجي على اتاحته لي هذه الفرصة الثمينة ، واعتذر اليه فى الاخير ان رأى فى هذه الكلمـــة ما يزعجه او يؤذيه ، فمـــا غير خدمة الادب والنقد قصدت ، والله من وراء القصد .

الكاظمية ـ بغداد   **محمد سعيد المسلم**

في كلمات ...

● قال الدكتور جون هيللر مدير معهد السرطان الوطني الاميركي ان الابحاث الحالية تشير الى انه قد يكون بالامكان مكافحة بعض اشكال السرطان او جميع اشكاله عن طريق التطعيم او الجراحة او زيادة المقاومةالطبيعية للمرض . وذكر ان هناك املا بأن يساعدتطوير اساليب الكشف عن المرض فى مراحله المبكرة على تعجيل اليوم الذي تتخلص فيه الانسانية من السرطان وقال ايضا انه قبل ٢٠ سنة كان واحد م ناربعة مرضى يعيش ٥ سنوات بعد تشخيص مرضه . اما الان فنسبة المرضى الذين يعيشون هذه المدة هي واحد من ثلاثة. وبالمعلومات الطبية المتوفرة الان سيكونبالامكان انقاذ مريض واحد بالسرطان من كل اثنين اذا امكن تشخيص مرضه ومعالجته فى وقت مبكر .

● اعلن العلامة هاماو اوميزاوا من مؤسسة الصحة اليابانية اكتشاف ثلاثة ادوية ضد السرطان دعيت بـ « انفستوميسين ا » و« وانفستوميسين ث » و« سيتميسين »فقد اعلن امام سبعمئة اخصائي ياباني اشتركوا فى اجتماع للجمعية اليابانية لابحاثالسرطان انه امكن بحقن الفئران بهذه الادوية وقف تكاثر الخلايا السرطانية . واضاف انه سيعمد قريبا الى تجارب كلينيكية على البشر .

● عالج ميخائيل رشو صاحب فندق « بور سعيد » فى اللاذقية اربعة اشخاص مصابين بالسرطان بواسطة دواء مركب من الحشائش العربية فشفاهم ورفض الاطباء الاعتراف بدوائه . ويختبر العلاج الان فى مستشفى المجتهد بدمشق .

● صرح الدكتور سمورو دنتسيف العالم الروسي فى شؤون الميكروبات الراشحة (الفيروس) بان العلماء الروس اكتشفوا لقاحا ضد الانفلونزا والخانوق والحصبة .

وقال للصحفيين قبل القاء خطاب فىاجتماع لجمعية الصحة العامة الاميركية فى اتلنتيك سيتي ، ان جميع اللقاحات استحضرت من ميكروبات راشحة حية الا انها ضعيفة ، املا فى ان يؤدي ذلك الى مناعة دائمة طويلةالامد. واضاف قائلا ان اللقاح المضاد للانفلونزا ، الذي يتم انتاجه بموجب الابحاث الاميركية ، يعطى للمرضى بطريقة رشه فى داخل الانف ، ولكنه اعترف بان له بعض العيوب . وقال انه شخصيا اشترك بتحسين اللقاح ضد الخانوق الذي يحقن تحت الجلد ، ووجد ان نسبة فعاليته فى التجارب الاولية التي جرت على ٣٥ الف طفل كانت ٩٠ بالمئة ، وانهاعطي الان لنحو مائتي الف طفل روسي . وقال ان اللقاح المضاد للحصبة لا يزال فى طورالاختبار،

وقد اجريت تجارب على ١٠٠٠ صبي احدثت اعراضا طفيفة لمرض الحصبة ، الا انها كانت خالية من خطر العدوى .

● لاحظ الطبيب الهولندي فان اوركرك ان هناك صلة وثيقة بين نوع الطعام الذي تأكله والتهاب الزائدة الدودية ، فقد دلت دراساته على ان الشعوب التي تتناول طعاما بسيطا تقل اصابات الزائدة الدودية بين ابنائهـا . بينما تزداد نسبة الاصابة كلما تحول الناس الى الاطعمة المعقدة التكوين ، كالطعام الاوروبي والشرقي .

● اعلن في لندن عن انتاج بنسلين جديد يؤخذ عن طريق الفم ، ويقول الخبراء انـه يحدث فعالية مقاومة للجراثيم في الدم اقوى مما يحدثه اي نوع اخر من البنسلين .

وقد اطلق عليه اسم بروكسل (بارل ١٥٢) وقد صنع على شكل اقراص وهو اول نوع من البنسلين يحضر من الجزيء الاساسي الـذي تمكن العلماء في مختبرات بيتشام من عزلـه في العام الماضي . والمعروف ان البروكسيـل هو باكورة نتائج الابحاث المشتركة بـين مختبرات بيتشام في بريطانيــا ومختبرات بريستول في الولايات المتحد .

● عرض العالم الفرنسي باري تقريرا امام مؤتمر الصيدلة الفرنسي العاشر ضمنـه نظريات مختلفة حول الادوية المستخلصة من النبات . واعلن انه على الرغم من الامكانات الكبيرة التي تقدمها الكيمياء الحديثة ، يجب الاستمرار في البحث عن النباتات التـي تستطيع تقديم مستحضرات طبية واضاف باري ان بعض العلاجات النباتية التي كانت تستعمل في الطب القديم والتي اكتشفهـا السحرة في المدنيات القديمة ، ما تزال تقدم للعلم الحديث امكانات ووسائل اكيدة خاصة، وان تقدم الكيمياء وعلم التحليل الكيميائـي يجعلان من السهل التعرف الى المواد الشافية التي تحتوي عليها هذه النباتات ، وبالتـالي استخراج هذه المواد واستعمالها كادوية .

● استنبط المهندسون البريطانيون جهازا ثوريا لاستخدامه اثناء عمليات القلب ، وكلفة هذا الجهاز الذي يبلغ وزنه ٢٠ كيلو غراما ، ٨٥٠٠ جنيها وسيعرض بالاتحاد السوفييتي بطلب من وزارة الصحة السوفياتية . ويأمل صانعو الجهاز الذي استخدم في الشهـور الثمانية الاخيرة بمستشفى هامر سميث ، في ان يعم استخدامه في كافة المستشفيـات البريطانية .

● يعالج الدكتور هركسهايمر الاستاذ بكلية الطب بجامعة برلين ، مرض الربـو وقصر التنفس بالتدخين ولكن السجاير التـي يدخنها مرضاه ليست مصنوعة من اوراق التبغ، بل من نبات كان معروفا منذ ١٥٠ عاما يسمى « سترامونيوم » او « اعشاب جيمسون » ، ويحتوي على عقار الاتروبين الذي يرخي العضلات ويزيل التقلصات وقد جرب الدكتور هركسهايمر سجاير الاتروبين على ٢٩ مريضا بالربو ، فاستعادوا جميعا طاقتهم الحيويـة بنسب متفاوتة ولمدد متراوحة .

● لم يكن الطب في بداية القرن الحاضر قد احرز درجة تطور عالية في اي بلد من بلدان العالم . فكان عدد الاخصائيين في اوروبـا محدودا جدا . وكان على المريض ان يقطـع مسافات طويلة لكي يجري عملية جراحيـة هامة او يعالج نفسه من مرض ذي بال . اما اليوم فانه اصبح في وسع الشخص العـادي ان يؤمن العلاج اللازم في القرية او المدينة التي يسكنها ، الا في الحالات النادرة التـي تتطلب تخصصا عاليا .

وقطع الطب الان مرحلة تطور واسعة اسهم فيها عدد كبير من المخترعين والاطباء العالمين. ومن اهم الميادين الطبية التي تم احراز تقدم كبير فيها ميدان الجراحة للاطفال . فمنـذ اعوام قليلة كان الطفل اذا ولد بمرىء اوامعاء غير طبيعية يكون مصيره الموت بعد ايـام معدودة من ولادته . اما اليوم فاجراء عملية جراحية تنقذ حياته مسالة عادية . فكل طالب طب يعرف اليوم الشيء الكثير عن الاطفال الذين يولدون بقلوب مثقوبة . ولقد اصبح من الممكن اصلاحها عن طريق وقف جريـان الدورة الدموية موقتا واحلال آلة تقوم موقتا مقام القلب . ومن اشهر الميادين التي غزاها الطب الحديث وتغلب عليها ميدان المقاومة للجراثيم . والمعروف ان الفضل في اكتشاف مادة البنسلين المعروفة يعود الى فلمنـغ البريطاني والى العالمين البريطانيين فلودي وتشين من جامعة اكسفورد .

● المصابون بالامراض العقلية يمكنهم التمتع بالسكينة والهدوء اذا تناولوا انواعا معينة من نبات « عش الغراب » ، كما يقول الدكتـور روجر هايم بمتحف التاريخ الطبيعي فـي باريس . اذ دلت الدراسات التي قام بها على عادات الهنود المكسيك وطقوسهم الدينية انهم يستخدمون انواعا من عش الغراب لعـلاج اعراض الهلوسة وبعض الاضطرابات العقلية الاخرى ، ولكن الاكثار من تناول هذا النبات يؤدي الى زيادة الاضطراب العقلي .

● ابتكر الدكتور جوان استاذ علم وظائـف الاعضاء بجامعة باريس جهاز سمع الكتروني دقيق الحجم مصنوع من البلاستيك ويركب داخل انسجة الاذن الوسطى . ويتالف الجهاز من مكبرين للصوت دقيقي الحجم احدهمـا للاصوات القوية والاخر للاصوات المنخفضة . ووصل المكبران عن طريق سلكين دقيقين من البلاتين بالعصب السمعي . ومن خصائـص هـذا الجهاز انه لا يحدث اي ضرر لاغشيـة الاذن او انسجتها .

● نجاح الاطباء السوفيات والاميركيون في نقل بعض الاعضاء الدقيقة الى اجسام بشرية او حيوانية ، يعني ان الجسم البشري غير قابل للاستهلاك في مجموعه. وكانت العقبة التي تحول دون نقل الاعضاء الدقيقة ، كالقلب والرئتين والاطراف الى الاجسام البشرية ، هي صعوبة وصل الاوعية الدموية والاعصاب ، ولكن الاطباء الروس تغلبوا على هذه العقبة بفضل آلة جديدة تكفل حياكة الشرايـين والاوعية الدموية الدقيقة بدقة وسرعة . وقد استطاع عالم سوفيتي ان ينقـل رأسا ثانيا لكلب ، وان يجعل كلبا اخر يعيش بقلبين مدة اسبوعين واعلن عالم اخر انه يستعد لزراعة ساق آدمية لفتاة بترت ساقها في حادث . ان عمليات ترقيع الجسم البـشري باعضاء جديدة بدل التالفة ، بدأت بترقيع الجلد ، ثم ترقيع قرنية العين وترقيع الشرايين وزراعة الاسنان ، واستبدال قطع العظام التالفـة بأخرى سليمة . وما لبثت هذه العمليات ان تقدمت خطوة اخرى جريئة بمحاولة نقـل القلوب والكلى والاطراف . وبنوك قطع الغيار البشري يتسع نطاقها ويزداد رصيدهــا يوما بعد يوم ، واذا كان هناك اليـوم بنوك للدم والجلد ، والعظام والشرايين والعيـون فلن يمضي وقت بعيد حتى يصبح لدينا بنوك للقلوب ، والرئات والاطراف والمعدات ، والكبد وغيرها من اعضاء الجسم .

● ذكرت وكالة تاس السوفياتية ان كلبا له قلبان مضى عليه ١٥ يوما وهو على قيد الحياة، عرض اثناء محاضرة القيت في موسكو . وقال المحاضر البروفسور فلاديمير دميخوف ، ان كلبا اخر انتزع قلبه ورئتاه عاش عدة ايـام بعد ان ربطت اجهزته الداخلية بأجهزة كلب اخر . وهناك كلاب اخرى عاشت برأسين مدة تقرب من شهر .

● نجح فريق من الاطباء الاميركيين اول مرة في اعادة زرع ساق مقطوعة في مكانها من جسم بيلي سميث وقال الجراحون انهم لا يذكـرون ان حادثة كهذه وقعت في تاريخ الطب رغـم انه تمت اعادة رؤوس اصابع واذان الـى مكانها وقال الاطباء ان الساق الان اقـصر ٥ سم من قبل . ويبلغ بيلي سميث ٢٩ سنة، وكانت ساقه اليمنى قد سحقت عـلى بعد بضع بوصات من الركة عندما سقطت عليها آلة رافعة وقطعت ولم يتبق منهـا غـير بوصتين من الجلد . وقال الطبيـب الذي

اجرى العملية انه وصل الشريان الرئيسي المقطوع ثم اعاد تدفق الدم فيه ، وسرعان ما تحول لون الساق الى الوردي غير ان القدم عادت فابيضت بعدما خيطت الاوردة الرئيسية. وعاد الطبيب ففتح الشريان مرة ثانية ، وازال تخثرا فيه ، ثم عادت الاوعية الدموية بعد ذلك الى العمل بصورة متقنة .

● منح عالمان اميركيان جائزة نوبل لهذا العام في الطب لقيامهما بأبحاث خاصة في التفاعل الاساسي للوراثة . والطبيبان هما الدكتور سيفيرو اوكوا ، من كلية الطب في جامعة نيويورك ، والدكتور ارثر كورنبرغ ، من جامعة ستانفورد في كاليفورنيا .

● صنعت شركة باي البريطانية رئة الكترونية ستحل محل الرئة الحديدية المستخدمة حتى الان . وقد توصل الاطباء في مستشفى بارنيت الى وضع تصاميم هذه الرئة التي يمكن ان تستخدم لمعالجة صعوبات جهاز التنفس وخصوصا في حالة الشلل . ولا يزن الجهاز سوى ٢٣ كيلوغراما ويمكن نقله بسهولة وهو يفسح المجال لامكانيات المحافظة على حياة المرضى في كثير من الحالات .

● الشائع ان النعاس بعد تناول الطعام سببه تحول الدم من المخ الى الجهاز الهضمي، ولكن اخصائيا في جامعة « اوهيو » اجرى دراسات في هذه الناحية دلت على خطأ ذلك. فالدم بعد تناول الطعام يجري في جميع اعضاء الجسم بسرعة اكبر ، ولا يزداد الدم في الجهاز الهضمي ـ كما كان يظن من قبل ـ على حساب الاعضاء الاخرى ، بل ان جميع الاعضاء تستفيد من هذه الزيادة التي تصحب عملية الهضم . وعندما يزود المخ بنسبة اكبر من الدم فان نشاطه يقل ويفتر ، ويبدو على المرء الميل للنعاس . والاثر نفسه يحدث بعد شرب الخمور او تعاطي بعض مشتقات الافيون ، لانها تزيد نسبة الدم الواصل للمخ ، وذلك بعكس القهوة والشاي فانهما يقللان كمية الدم الواصلة للمخ ، وبالتالي يساعدان على مقاومة الميل للنعاس .

● منح جاروسلاف هيروفسكي ـ وهو تشكوسلوفاكي ـ جائزة نوبل للكيمياء لاكتشاف الاسلوب التحليلي الالي في علم الكيمياء التطبيقية . ويتولى هيروفسكي الان منصب مدير معهد التحليل الالي الذي انشاته اكاديمية العلوم في براغ سنة ١٩٥٠ .

● يقول العالم الدكتور ادموند فاريس ان ٣٠ بالمئة من الرجال الاميركيين هم اما عقيمون نوعا ما او عقيمون تماما . وقد صرح انه منذ الحرب الاخيرة اصبح لدى ٩٠،٠٠٠ من المتزوجين العقيمين اطفال بواسطة «قناة الاختبار» . وقال انه لا يمكن الحكم على خصوبة الرجل على اساس مظهره .

● قال الدكتور هيرمان مولر ، الحائز على جائزة نوبل في علم النظام التناسلي ، بانه سيدعو الى تربية افراد منتخبين لانتاج جنس بشري ممتاز . وقال انه ينوي تقديم تقرير حول مشروعه في احتفال دولي سيقام في جامعة شيكاغو الشهر المقبل في ذكرى مرور ١٠٠ سنة على نظرية داروين الخاصة بالتطور واضاف انه يعتقد ان اللقاح الصناعي سينتج جنسا بشريا له صفات لينكولن واينشتاين وباستور . واقترح طريقتين للحصول على مثل هذه النتيجة . الاولى يمكن تحقيقها بواسطة اللقاح الصناعي حيث يتم تلقيح المرأة بنطف من رجال ممتازين . والطريقة الثانية هي عبارة عن وسيلة تدريجية حيث يكون في استطاعة الزوجين الممتازين تربية المزيد من الاطفال اكثر مما يستطيعان اعالتهم لتبنيهم من قبل اناس اخرين .

● اعلن العالم الفرنسي همبورجيه امام مؤتمر علمي انعقد في باريس ، انه استعمل مع معاونيه الكلية الصناعية اكثر من ٨٠٠ مرة في حالات ناتجة عن عدم تمكن الكلية في جسم المريض من افراز المواد المسممة للبول، بحيث تنتقل هذه المواد الى الدم ، وكذلك في حالات تتبع في بعض الاحيان الاجهاض لدى النساء . واضاف ان نسبة الوفيات في مثل هذه الحالات كانت تصل الى ٧٤ بالمئة ، بينما بلغت نسبة الشفاء باستعمال الكلية الصناعية الفرنسية ٩٢ بالمئة .

● أجريت العملية الجراحية الـ ٩٣ على طبيب اميركي اصيب بداء السرطان عام ١٨٩٥ نتيجة لاختبارات كان يجريها بواسطة الاشعة السينية . فقد اصيب الدكتور اميل غروبي بالسرطان عندما كانت طبيعة الاشعة السينية والاخطار المحيقة باستخدامها لاتزال مجهولة . والدكتور غروبي وعمره الان ٨٤ سنة ساهم في تدريب الاف الاطباء على استخدام الاشعة رغم ان الام المرض المستمرة ما زالت تصيبه منذ ٦٤ سنة .

● تحدث ورنر هيزنبرغ في مؤتمر جائزة نوبل الذي عقد خلال الصيف الماضي في مدينة ليندو ، عن اكتشافاته في اصل المادة فقال انه خطا خطوات كبيرة في نظريته عن « المجال الموحد » وهذه النظرية خلاصتها ان « الجزيئات البدائية » التي تتركب منها المادة ليست الا تحولات عارضة تطرأ على « القدرة » ، وبالتالي فان هذه الجزيئات قابلة للفناء . وكانت نظريته قد اثارت اعتراضات عدد كبير من العلماء خصوصا في اميركا . ويعتقد الان ان ابحاثه في هذا المجال قد تقدمت ولكنها ما تزال بحاجة الى ابحاث تكميلية اخرى . وهيزنبرغ حاز جائزة نوبل للفيزياء ، وهو صاحب النظرية المعروفة باسم « نظرية عدم التعين » والتي قلبت النظريات المدرسية رأسا على عقب ، اذ بينت ان « مبدأ الحتمية » لا يصح في عالم الميكروفيزياء .

● انتجت مصلحة المعامل البيطرية بالقاهرة مصلا يحصن الكلاب ٣ سنوات ضد مرض الكلب .

● صرح الدكتور فلتشر بأن حوالي ٤٠٠٠ شاب دون سن العشرين في ويشيتافولز الواقعة شمال تكساس يعرضون حياتهم للخطر باستنشاق ابخرة الاسمنت البلاستيكي التي تبعث فيهم اللذة والانشراح . وقال ان هذه الابخرة تحتوي على الاثير ودبصلفيد الكربون، وهي تجعل مستنشقها في حالة مشابهة للسكر ويقول الشبان انهم يستنشقون هذه الروائح لانها تبعث البهجة فيهم اثناء ساعات الدرس

ويؤكد الدكتور فلتشر ان المواد التي يتركب منها الاسمنت تؤذي الكبد وقد تضر الدماغ وهي سامة وقاتلة اذا استعملت بصورة متكررة .

● منح عالمان اميركيان جائزة نوبل في علم الفيزياء لاكتشافهما ذرة الانتيبروتون التي ظلت مجهولة طوال ٣٠ سنة وهما الدكتور اميليو سيغريه المولود في ايطاليا سنة ١٩٠٥ والدكتور اون تشامبرلين استاذ الفيزياء النووية في جامعة كاليفورنيا . ويشكل اكتشافهما الذي تم بمساعدة مختبر الجامعة تأكيدا مهما للنظرية القائلة ان المادة توجد على شكلين هما البروتون والانتيبروتون . وكان اول من وضع نظرية وجود الانتيبروتون أي الصورة الكهربائية السالبة للبروتون في نواة الهيدروجين الدكتور ن. ا. م. ديراك البريطاني الذي فاز بجائزة نوبل سنة ١٩٣١ وراح العلماء بعد ذلك يبحثون عن هذه الذرة بواسطة الاشعة الكونية ، ولكن ما عثر عليه من اثر لها كان ضئيلا بحيث لم يكن في الاستطاعة الاخذ به كبينة ايجابية ، وبعدها ساورت العلماء شكوك جدية في صحة نظرية الذرات المعكوسة . وفي سنة ١٩٥٥ بدأ الدكتور سيغريه بحثه لتأكيد هذه النظرية يعاونه عدد من العلماء بينهم الدكتور تشامبرلين .

● توفي العالم البريطاني السير هنري تيزارد عن ٧٤ عاما . وكان تيزارد واحدا من العلماء البريطانيين الذين ساعدوا في انشاء شبكة رادار لبريطانيا قبل بدء الحرب العالمية الثانية .

● اوصى خبراء البترول العرب في مؤتمر جدة الدول العربية بمد انابيب بترولهم الخاصة من الخليج العربي الى البحر الابيض المتوسط.

● التقطت المحطة الفضائية السوفياتية صورة للجانب المجهول من القمر الذي لايمكن رؤيته من الارض . ونشرت الصحف العالمية الصورة .

● بدأ يعمل في سيركيوز في امريكا اول جهاز لتحويل مياه البحر الى مياه عذبة عن طريق تجميدها وقد قامت شركة كاريار للتبريد بصنع هذا الجهاز . ويبلغ حجمه حجم بناية مؤلفة من ثلاث طبقات اما مقدرته الانتاجية فهي حوالي الخمسين مترا مكعبا في اليوم . وهذه الطريقة تعتمد على تخفيض درجة حرارة الماء المالح حتى تبدأ بلورات الجليد بالظهور . والماء المتجلد هو ماء عذب . ولهذه الطريقة حسنات هامة وهي ان الطاقة الكهربائية الضرورية لتجليد الماء اقل من الطاقة اللازمة لغليانه . كما ان الاجهزة والالات والمضخات والانابيب لا تتصدأ وتتآكل عند استخدام طريقة التبريد .

● وصل الى فرنسا وفد مؤلف من مهندسين سوفياتيين وتوجهوا الى مصنع فرنسي لحياكة الصوف الصناعي قرب مدينة سان نازير ، وذلك للاطلاع على الطريقة الحديثة المتبعة فيه بغية انشاء مصنع مماثل في موسكو .

● يستفاد من اخر الدراسات التي قام بها مرصد لوفل في اميركا ان افتراض وجود نبات في المريخ له بعض الاساس . فلقد تمكن مدير المرصد الدكتور وليام سينتون بعد ان وجه مرآة المرصد العاكسة الى المريخ سواء من الناحية التي تضيئها الشمس ام من الناحية المظلمة من تسجيل اطياف الاشعة القادمة من الكواكب ، وظهرت في هذه الاطياف ثلاثة خطوط هي ذات الخطوط المميزة لاتحاد الكاربون والهيدروجين اللذين يشكلان المادتين الاساسيتين للكائنات الحية على الارض .

وتثبت هذه التجربة ان المواد تلك تمتص كمية من الضوء الشمسي . واما الملاحظات الخاصة بالمواد العضوية الكائنة في القسم المظلم من المريخ فلا يمكن شرحها نظرا الى ان نفس الخطوط المميزة التي ظهرت في الصورة الطيفية تميز الاعشاب الخضراء «ذوات الخلية الواحدة» وورق التصفية الذي يتضمن معجونا خشبيا او فيبرات حيوانية . ولا يستثني الدكتور سينتون رغم هذا ، ان يوجد على الارض في بعض املاح الكاربون العضوية مما لم تكتشف بعد خطوط مميزة مماثلة .

● قال العالمان جيوسيبي كولوني وفيليب موريسون الاستاذان بجامعة كورنيل ، ان هناك مجتمعا راقيا في الفضاء الخارجي يرسل الان اشارات لاسلكية الى الارض . ولايزال هذا المجتمع في انتظار رد على اشاراته . وقد اعلنا ذلك في مجلة «الطبيعة» وقالا ان النجوم البعيدة عن مجموعتنا الشمسية تتبعها كواكب توجد فيها الحياة .

● اعلن العالم نيكولاي كوزيريف في مرصد بولكوفو انه تمكن من الحصول على صورة جديدة للجبل الاوسط لفوهة الفونس القمرية وصرح العالم السوفياتي الذي اعلن في العام الماضي اكتشاف ظاهرات بركانية على القمر ، بانه فوهة الفونس اما زالت ناشطة وهذا ما يشكل برأيه تأكيدا لوجود استمرار بركاني في القمر .

● اكتشفت البعثة الانكليزية التي تنقب عن الاثار في السودان اثارا جديدة في منطقة بوهيني بالمديرية الشمالية يرجع تاريخها الى الفسنة قبل الميلاد . واكتشفت البعثة الايطالية للتنقيب هناك عدة اهرامات .

جولة الأديب في شهر

تاريخ تطور الديمقراطية فى باكستنان

بقلم عبد الحميد
استاذ العلوم السياسية فى جامعة البنجاب

بدأت الافكار الديموقراطية تتسرب الى البلاد عندما صار الناس يأخذون بنظم التعليم الغربية ، ولقد اتخذ القرار الخاص بالنهج وفق نظام التعليم الغربي فى سنة ١٨٣٣ ، وكان الشخص المسؤول عن ذلك هو المؤرخ البريطاني ماكولاي ، وتأسست اول ما تأسست معاهد التعليم الغربي فى سنة ١٨٥٦ فى كلكتا وبومباي ومدراس ، فقامت فى هذه المدن ثلاث جامعات على غرار جامعة لندن ، وكان موضوع السياسة من بين المواضيع المحببة للطلاب فى هذه الجامعات . غير ان هذا الموضوع كان يعتبر فرعا من الادب الانكليزي اكثر منه موضوعا مستقلا . وكان من بين النصوص والكتب المقررة للتدريس فى هذا الموضوع مقالات ماكولاي وخطب بيرك حول الضرائب فى اميركا وكتاب الحرية لجون ستيوارت ميل، وكتاب الحكومة التمثيلة ، وكان الطلاب يقبلون بشوق على قراءة هذه الكتب واستيعاب مادتها .

كان الغزو البريطاني قد تم فى سنة ١٨٥٧ ، ولم تكن حينئذ نية للاخذ بالنظم الديمقراطية فى الاراضي المحتلة . بيد ان البريطانيين ما لبثوا حتى ادركوا فوائد اشراك الشعب بوضع سياسة الحكومة . وادى بهم هذا الادراك الى الاخذ بسياسة تعرف بسياسة اشراك الشعب ، وتعني هذه من الناحية العملية انتخاب ستة اشخاص (ليمثلوا ٢٠٠ مليون شخص من افراد الشعب) . وليجلسوا جنبا الى جنب مع حكامهم عند النظر فى وضع القوانين ، ولم يكن هذا ليعني شيئا كثيرا بل ولم يكن لهذا اقل شبه بالنظام التمثيلي . ثم جرى التوسع بنظام « الاشراك » هذا فى سنة ١٨٩٢ . ثم فى سنة ١٩٠٩ ، واخذ فى سنة ١٩٠٩ بنظام الانتخاب غير المباشر وكانت كل منطقة انتخابية تبلغ بضعة مئات من الاميال المربعة ولكن عدد الناخبين فيها لا يتعدى بضعة افراد ، ومن الممتع ان نذكر ان الوزير البريطاني حينئذ وهو مورلي كان لا ينوي الاخذ بالنظام البريطاني للديمقراطية فى البلاد ، وقد اعرب عن نيته هذه بصراحة ووضوح فقد قال مرة : ان فراء كندا لا يصلح للطقس الاستوائي ، وان اولئك الذين يطالبون بنظام الحكومة التمثيلية انما يطالبون بالمستحيل. وهكذا فانه لم ير ثمة احتمالا لان تأخذ البلاد بمثل ذلك النظام الديمقراطي .

ولما وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها اخذت تيارات الوطنية تكتسح جميع العالم لا سيما البلدان الاسيوية . فبدت الانظمة القديمة عاجزة عن اداء الفرض المتوخي منها . وعندئذ اخذ الحكام البريطانيون يطبقون تدريجيا نظام الحكومة المسؤولة اي النظام الذي تكون بموجبه الحكومة القائمة مسؤولة امام مجلس تشريعي منتخب، وفى ظل هذا النظام الدستوري الجديد الذي كان المراد منه اعداد البلاد للحكم الديمقراطي لم يمنح حق الانتخاب الا لثلاثة بالمئة من مجموع السكان ثم رفعت هذه النسبة الى ١٤ بالمئة فى سنة ١٩٣٥ عندما اخذ البريطانيون بشيء من النظام الفدرالي وبتجربة لتطبيق النظام الديمقراطي .

واذا امعنا النظر فى الناحية الدستورية للحكم البريطاني السابق لتجلت امامنا ثلاثة امور :

ان المجالس القروية التي كانت عماد النظام الحكومي القديم والتي قامت منذ الازل ما لبثت الحكم البريطاني وفي الظروف التي خلقها ، حتى فقدت حيويتها ونشاطها ،اذ كان البريطانيون قد الفوا قوة للبوليس وكانت قوة البوليس هذه تبسط نفوذها فى جميع ارجاء البلاد ثم كانت المحاكم النظامية تفتح ابوابها لكل طارق ، فلم يبق للمجالس القروية مجال لممارسة شيء من صلاحياتها .

ان جميع التغيرات الدستورية التي كان يحدثها البريطانيون انما كانت تنبثق من عل ، فكان البريطانيون اما ان يزيدوا من عدد اعضاء المجالس التشريعية ، واما ان يحدوا من سلطات هذه المجالس ، فلم يتناولوا بالاصلاح النظام الاداري المركز بل الشديد التركيز وهو النظام القانوني الشكلي الصارم الذي لم يك فى اكثر الاحيان ليراعي الجانب الانساني من مشاكل الحكومة والذي وضعت خطوطه فى النصف الاول من القرن التاسع عشر .

صحيح ان البريطانيين كانوا يتنازلون عن بعض الصلاحيات للمجالس التشريعية ولكن حتى فى الاحوال التي كان يبدو فيها تنازلهم كبيرا كانت المجالس التشريعية لا تخول صلاحيات كافية ، ولذا لم يكن اعضاء هذه المجالس ليحسنوا التصرف او يقدروا المسؤولية ، فكانوا يعملون دوما لانتهاز الفرص لاهانة المجلس التنفيذي برفض كل طلب يتقدم به .

وكان الاستقلال فى سنة ١٩٤٧ ، وكانت كثير من الدول الشرقية بما فيها باكستان تحسب خطأ ان الديمقراطية انما هي نفس النظام الذي تنهج عليه بريطانيا فى اقامة الحكومة البرلمانية . غير ان هذه البلدان ما لبثت حتى زال عنها هذا الوهم . فالنظام البرلماني البريطاني انما يمكن الاخذ به في بلاد بلغ شعبها شأوا بعيدا من الثقافة والحضارة والرفاه المادي . ثم ان الديمقراطية انما هي نظرة او قل هي اتجاه فى الحياة اكثر منها نظام للحكم . ففي باكستان مثلا قامت نظم واساليب ديمقراطية كثيرة كحق الانتخاب للذكور والاناث وسرية الانتخاب والمجالس التمثيلية والوزارات المسؤولة امام المجالس ومع ذلك فان الروح الديمقراطية لم تكن مماثلة ، وكان الرجل العادي يرقب الامور من حوله بيأس وقنوط ، وكان الساسة يتكالبون على الحكم طلبا للجاه والثروة ، وهكذا فان النظام السياسي البريطاني لما طبق فى محيط يشيع فيه الجهل والفقر والتنابذ بين الافراد والجماعات تمخض على الاجمال عن نتيجتين :

اولا ـ زاد فى حدة الخصومات والمنازعات القائمة واثار خصومات جديدة فأورث اشكالا شديدا بدلا من ان يفض الاشكال . فحرية الكلام وحرية الصحافة وان كانتا خيرا فانهما قد تؤديان الى نتائج معكوسة اذا اسيئت ممارستهما ، وقد تنحرفان عن جادة الصواب وتعينان على بذر بذور الشقاق بين افراد الامة الواحدة . فالفكرة القديمة القائلة بان الشعب يمكن توحيده فى الخضوع الى نظام ديمقراطي مشترك اثبتت انها غير قابلة للتطبيق عمليا . ولو ان النظام البريطاني الحالي قد طبق فى بريطانيا فى القرن السادس عشر لادى الى فشل ذريع .

ثانيا ـ ادى الى توسيع الشقة بين ذوي الثروة وذوي المسغبة ، فالجماعات المنظمة من اصحاب المال والثراء يستطيعون بسهولة ان يتفوقوا على الطبقة المثقفة فى مجال السياسة ، ويستطيعون ان يفوزوا بالانتخابات وان يستخدموا اكثريتهم لخدمة مصالحهم واغراضهم .

وفى مثل هذه الظروف كان لا بد من البحث عن سبيل اخر للديمقراطية الحقة .

ولقد قررت باكستان ان تطلق قيود النظام المركزي المتشدد فى مركزيته بمستواه العالي والذي ورثته عن الحكم البريطاني ، وان تهبط بالحكومة وبالنظام الديمقراطي الى مستوى الشعب بحيث تضع الحكم بين يدي عامة الناس . اجل لقد احيت باكستان نظام الحكم المحلي ، ومكنت

● القيت هذه الكلمة فى مؤتمر العلوم السياسية الذي عقد فى بيروت فى الشهر الماضي .

الشعب من النظر في اعمال الحكومة من شرفات دوره . ولقد اطلق على هذا النظام اسم الديمقراطية الاساسية ، وفي هذا النظام من الفوائد ما يجدر بوضعه في حيز التنفيذ . فان نجاح الديمقراطية ليتصل اتصالا وثيقا بنجاح الحكومة المحلية ذلك ان المعهود عن الديمقراطية انها تفلح بين الشعوب التي تتمكن من انجاح الحكومة المحلية .

وقصارى القول ان الديمقراطية الاساسية تمثل نظاما يبدأ من البداية او قل يبدأ من اسفل ، فاذا ما بنى قاعدة قوية نهض بالبنيان صعدا . فهو على عكس النظام البريطاني . ثم هو يرمي الى انشاء مجالس اتحادية تشمل عادة «مجموعة» من القرى يبلغ مجموع سكانها من ١٠،٠٠٠ الى ١٥،٠٠٠ نسمة . وسيكون لكل الف — الى الف وخمسمائة شخص ، ممثل او نائب ينتخب على اساس حق الانتخاب لكل شخص بالغ سن الرشد ، وسيكون علاوة على هؤلاء الاعضاء المنتخبين اعضاء معينون — من غير الموظفين وممن يمثلون مصالح خاصة — وسيكون عدد هؤلاء نصف عدد الاعضاء المنتخبين وسينتخب كل مجلس رئيسه من بين اعضائه .

اما مهام المجالس الاتحادية ، فتشمل المهام التنفيذية والقضائية والاجتماعية ، ولذا فسيكون للمجالس سلطة جباية الضرائب على الاموال العقارية والاراضي الزراعية وعلى تصدير البضائع وتوريدها وعلى التجارة والحرف وعلى تسجيل المواليد والزواج الخ .. كما ستكون للمجالس سلطة فرض الضرائب على شكل اعمال يؤديها الناس لخدمة المجتمع وضرائب للانفاق على رواتب البوليس الذي يجند محليا لخدمة المنطقة .

ومن بين المهام التنفيذية التي ستضطلع بها المجالس الاتحادية مهام ادارية وبلدية ومهام تتصل بمشاريع التنمية واعادة بناء الامة .

هذا ويقضي نظام الديمقراطية الاساسية بتعيين محكمة اتحادية تتالف من ثلاثة اعضاء يختارون من بين اعضاء المجلس للنظر في الشؤون القضائية في منطقة الاتحاد ، ولذا فقد وضعت ضمن صلاحية هذه المحاكم بعض اقسام قانون العقوبات الباكستاني كما خول المجلس حق اعداد ميزانيته الخاصة في بداية كل سنة مالية ليتسنى له جمع الاعتماد اللازم للانفاق على وجوه نشاطه .

لاهور — عبد الحميد

•

العلم يصنع المستقبل

بقلم انتونيو دي جامارا

تشهد الاعمال الهيدرولوجية الكهربية الكبرى ومشاريع السدود الكبرى على تقدم الجهود العلمية التي يبذلها العالم لحفظ تربة الارض وتنظيم استخدام المياه . ولكن الانسانية ، على الرغم من هذا النجاح ، لم تكفل بعد مستقبلها ، نظرا لاضطراد سكان العالم في الزيادة ، والاحصاءات تدل على ان عددهم سوف يتضاعف في الخمسين عاما المقبلة ، ويعني هذا ان العالم امام ضرورة جوهرية ، وهي العمل على ازدياد موارد الغذاء . ولهذا بدأ العلماء والباحثون في بحث الوسائل لاستغلال الاراضي القاحلة ودراسة المناخ والنبات والحيوان وتكون التربة في المناطق الجرداء وشبه الجرداء التي تغطي ثلث مساحة اراضي الكرة .

ومن قرب نظمت اليونسكو في مدريد بالتعاون مع الحكومة الاسبانية حلقة دراسية جمعت خبراء من ١٨ دولة لدراسة بعض المشاكل الاساسية في ذلك المجال ، وعلى الاخص ما يتعلق منها بعلاقة المياه بالانبات . وقد استعرضت الحلقة حوالي ٤٢ بحثا علميا تبرز جميعا الجهود التي تبذلها معاهد البحث ومعامل التجريب في العالم كله لدراسة النباتات

وقال احد اعضاء الحلقة : الاستاذ امبرجيه من معهد علم النبات في مونبلييه ان اجتماعات لجان العمل في حلقة مدريد قد اوضحت عن التجارب التي تجري حاليا في امريكا الشمالية واستراليا والاتحاد السوفييتي واسبانيا وامريكا اللاتينية وبلدان الشرق الاوسط ، وهي اعمال قد زودت الحلقة ببيانات كانت لتتطلب خمسة اعوام من البحث

واوضحت التقارير التي قدمها الخبراء الاسبان ان اربعة اخماس الاراضي الاسبانية تحتوي على تربة تعرضت لعوامل التآكل والظواهر التي تميز عادة المناطق القاحلة وشبه القاحلة . واستطاع الخبراء في الحلقة ان يقوموا بدراسات هامة حول التربة ، معتمدين في دراساتهم على تقارب المناطق القاحلة ومظاهر التشابه في طبائعها . وليكفي ان يتامل الباحث سطح البحر الابيض ليلاحظ البقع الصفراء الكبرى عليه :

ويرى العلم الحديث ان التربة تحتفظ بنفسها ازاء التآكل اذا كانت لا تفقد في العام اكثر من ١٢ طن بالنسبة للهكتار الواحد ، فمعنى هذا انها لا تفقد الا طبقة سمكها بعض اعشار المليمتر . ولكننا نجد في كثير من الاحيان ، في اسبانيا مثلا ، ان اثار التآكل تبلغ درجة اليمة ، اذ تفقد في العام الواحد طبقة سمكها خمسة ملليمترات ... واذا استمر الحال على هذا النحو اصبحت الارض صخرا في نهاية القرن .

وليست مشاكل التآكل والقحل وقفا على اسبانيا وحدها ، فقد ابرزت اعمال حلقة مدريد ان بلادا كثيرة ومنها الولايات المتحدة نفسها والاتحاد السوفييتي تواجه مشاكل الجفاف في بقاع شاسعة من اراضيها . لقد قال الاستاذ كوفدا ، مدير ادارة العلوم في اليونسكو ، ان الماء يفقد بسبب التبخر والامتصاص ، ولا يمكن ان نصل الى نتائج مجدية في المناطق الصحراوية الا عن طريق ضبط عملية التبخر المائي من النبات ، وعملية التاليف الضوئي (العملية التي يستمد بها النبات الطاقة الضوئية لتحويل الاكسيجين الى كربون ثم ادخال عنصر الكربون في تكوين الكربوهيدرات) .

ولا تسقط السيول في المناطق شبه القاحلة الا نادرا ولكن سقوطها يتخذ شكلا عنيفا . فالمياه تنحدر على الجبال حاملة معها مكونات التربة والعناصر التي يغتذي بها النبات . ومن ثم كان من اهم وسائل حفظ التربة العمل على وقف اثار هذا السقوط الذي يضر بالتربة ، ووقف سقوط المياه قبل ان يدرك المنحدرات والوديان المتوسطة . ولا يمكن تحقيق هذا الا بعملية الانبات .

وقد تناولت بحوث حلقة مدريد النباتات التي تقاوم الجفاف ، واستعرض خبراء الحلقة خرائط لنوعية النبات في المناطق شبه القاحلة للتعرف على الفصائل النباتية المجدية لكل منطقة ، ومدى تكيفها للظروف الجغرافية والمناخية في تلك المنطقة . وقد اوضحت مثل هذه الدراسات التحليلية ان بعض المناطق في وسط تونس وجنوبها ، حيث لا تزيد كمية الامطار فيها على ٢٥٠ ملليمترا ، تصلح اليوم لزراعة الزيتون فيها على مساحة تبلغ اكثر من مليون هكتار كما تناولت مناقشات الحلقة مشاكل مختلفة كملوحة الارض ، والزراعة في وسط سائل .

لقد كانت منظمة الامم المتحدة للزراعة والتغذية ممثلة في حلقة مدريد ، وكان ذلك يعني ان بلاد العالم ليست جميعا في حمى من المشاكل التي تهدد مصير هذا العالم بسبب اضطراد عدد سكانه . فيكفي ان تطالعنا الاحصاءات بان العالم سيبلغ خمسة مليارات ونصف مليار نسمة في عام ٢٠٠٠ .

وواجب مراكز البحث العلمي في العالم كله ان تتآزر جميعا لايجاد حل لهذه المشاكل . ومثل هذا التعاون العلمي هو الذي يهدف اليه مشروع اليونسكو الكبير الخاص ببحوث المناطق القاحلة .

•

الفنون والتعليم بالمراسلة في بريطانيا

تعتبر مهمة تنمية الاداب والفنون ونشرها في بريطانيا مهمة كبرى يتولاها عدد من المؤسسات الرسمية ، وغير الرسمية ، بعضها ذات سلطة استشارية فقط كلجنة المتاحف واللجنة الملكية للفنون الجميلة وبعضها ذات سلطة تنفيذية كلجنة الفنون الملكية والمجلس الثقافي البريطاني

ومعهد الافلام البريطانية ومجلس التصميم الصناعي .

ويتجلى اهتمام الحكومة بهذه المهمة عن طريق الهبات والمنح التي تقدمها لبعض هذه الهيئات والمصروفات التي تخصصها للمتاحف ومعارض الرسوم والصور التي يباح لجميع افراد الشعب مشاهدتها مجانا . وتقدر مصروفات الحكومة على الشؤون الفنية خلال السنة المالية ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ بسبعة ملايين استرلينية . وفى وسع السلطات المحلية ان تستخدم بعض الواردات لتشجيع النشاط الفني .

ومما هو جدير بالذكر ان المجالس الفنية تقيم معارض فى مراكز مختلفة من البلاد كما انها تقيم مواسم للحفلات الموسيقية الكبرى فى جميع المدن البريطانية الكبيرة . وفى بريطانيا اليوم نحو ٤١٠٠ قاعة سينما و٥٠٠ مسرح عام . ومن بين الفرق التمثيلية الهامة الكبرى التي تعرض رواياتها فى مسارحها الخاصة ، فرقة اولدفيك بلندن وفرقة مسرح شكسبير التذكاري فى ستراتفورد ابو افون . وهناك مواسم منظمة تعرض خلالها الاوبرا والباليه فىدار الاوبرا الملكية ومسرحكوفنت غاردن ومسرح سادلرز ويلز بلندن . وتعرض استعراضات خاصة من روايات الاوبرا سنويا فى مسرح غليندبورن باسكس .

وينشر فى بريطانيا نحو ١٥ الف كتاب جديد سنويا . وفيها بضعة الوف من المكتبات العامة المنتشرة فى مختلف انحاء البلاد بما فى ذلك المكتبات التي تحتفظ لنفسها بحقوق النشر ، والمتاحف البريطانية والمكتبات الوطنية فى اسكتلندا وويلز ومكتبة بودليان فى اوكسفورد ومكتبة جامعة كمبردج وهاتان المكتبتان تتمتعان بحق اخذ نسخة من اي كتاب جديد يطبع فى بريطانيا ويشمل ذلك ايضا مكتبات الجامعات البريطانية الاخرى والمعاهد العلمية والمكتبات التي تعير الكتب مقابل اشتراك بسيط ومكتبات المطالعة العامة التي تضم اكثر من ٦٦ مليون كتاب وتعير الكتب بما يبلغ معدله ٤١٩ مليون مرة فى العام .

الى جانب النظام الثقافي العام فى بريطانيا تقوم مائة كلية للتعليم بالمراسلة وتعني بتوفير الفرص لاولئك الذين لا يجدون الوقت للمزيد من التعلم المباشر او للذين يفضلون الدراسة فى منازلهم . وتوفر هذهالكليات لطلابها المجال لمختلف الفروع من التربية الفنية والدراسية التي تؤهل الطلاب للحصول على شهادة بكلوريوس علوم من جامعة لندن . ومع ان وزارة المعارف لا تعترف بهذه الكليات كمؤسسات او معاهد ثقافية ، فان الاثنتي عشر كلية التي تعلم بالمراسلة تقدم معظم المواضيع التيتعلمها الكليات التكنية وكليات التعليم المسائي للسلطات المحلية .

وبالاضافة الى قيام مدارس بالمراسلة بتدريب جميع اولئك الذين يجتازون امتحان معهد المحاسبين القانونيين ونصف اولئك الذين يجتازون امتحانات السكرتارين القانونيين وكثيرا من الذينيتعلمون للعمل فىالبنوك والمصارف وشركات التامين فانها تدرب كذلك عددا من الطلاب فى المواضيع الاكاديمية النظرية . وتقيم نسبة كبيرة من طلاب مدارس المراسلات ، حوالي ٦٠ بالمئة فى احدى المدارس ، فى الخارج وعلى الاخص فى الاقطار التي تنمو وتتطور بسرعة .

اما التكنولوجيا والهندسة المهنية ، وهما الحقلان الرئيسيان الاخران اللذان تعني بهما هذه المعاهد ، فان بعض الكليات توفر لطلابها نحو ٣٠٠ موضوع مختلف فيهما .

ولقد تعاقدت احدى كليات التعليم بالمراسلة لتعليم المواضيع التكنية لموظفي عدد من الشركات كشركات الزيت والكهرباء كما ان كلية اخرى تعاقدت مع الحكومة الباكستانية لتعليم المواضيع الهندسية لافراد قواتها.



اكتوبر

٢١ اكتوبر ١٩٥٩ – عهد الى المشير عبد الحكيم عامر بالاشراف على السياسة العامة فى الاقليم السوري ومراقبة تنفيذ القرارات لتدعيم الوحدة ويكون الوزراء مسؤولين امامه .

– فرنسا تقترح تأخير عقد مؤتمر الاقطاب للربيع .

٢٢ – وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على قرار يدعو الى احترام الحق الاساسي لشعب التبت لاختيار طريقة حياته الخاصة .

– سمح مجلس الاتحاد الاوربي لالمانيا الغربية بصنع قذائف موجهة للدفاع ضد الطائرات .

– وصل الى روما الامير فيصل آل سعود قاصدا سويسرا للمعالجة .

٢٣ – اعلنت الهند ان الصين الشعبية شنت هجوما عنيفا على الجيش الهندي فى قطاع لاداخ من كشمير وتبعد المنطقة ٥٠ ميلا الى الغرب من الحدود الصينية الهندية .

٢٤ – توترت العلاقات بين الهند والصين الشعبية بعد ان تبادلت الحكومتان مذكرات شديدة .

٢٦ – صرح الملك حسين انه على استعداد لعمل كل شيء فى استطاعته « لانقاذ العراق من الشيوعية اذا ما طلب منا ذلك شعب العراق » .

٢٧ – اعلنت الصين الشعبية عن رغبتها فى تسوية النزاع مع الهند وطلبت من الهند المحافظة بصورة مؤقتة على الحالة الموجودة منذ زمن طويل .

٢٨ – صرح اللواء قاسم ان العراق اقوى دولة فى الشرق الاوسط وانه قادر بفضل جيشه الحديث على سحق اي عدوان مهما كان مصدره .

– قال رئيس وزراء فرنسا دوبريه ان فرنسا تريد وقف القتال فى الجزائر ولكنها لن تتجاوز سياستها الحالية لتحقيق ذلك .

٢٩ – صرح سلوين لويد بان الحلفاء الغربيين مختلفون حول نوع مؤتمر الاقطاب وموعد عقده .

٣٠ – توفي سيسافانغ فونغ ملك لاوس . وخلفه على العرش ابنه الامير سافانغ رأتانا .

– اعلنت امريكا ان تركيا وافقت على ان تقام فى اراضيها قواعد للقذائف الامريكية المتوسطة المدى .

٣١ – صرح خروشوف ان روسيا تريد تحقيق نزع السلاح وهي مستعدة لبحث باقي الاقتراحات واتخاذ موقف مرن منها ، فالسياسة المرنة فى العلاقات مع الدول ضرورية .

نوفمبر

٢ نوفمبر ١٩٥٩ – وصل الشاه محمد رضا بهلوي الى عمان فى زيارة رسمية للاردن .

٣ – وافق الاتحاد السوفياتي على الدخول فى مباحثات يعقدها خبراء الشرق والغرب حول معلومات جديدة تتعلق باجراء التجارب النووية تحت الارض .

٤ – تاهب الجيش الامريكي للدفاع عن قناة بناما بعد ان مزق المتظاهرون البناميون علم السفارة الامريكية ورفعوا العلم البنامي واوقعوا الاضرار بالممتلكات الامريكية .

– التأمت اللجنة السياسية للامم المتحدة بطلب من المغرب لمناقشة مسألة التجارب النووية الفرنسية فى الصحراء الافريقية .

٥ – اعلن نهرو ان الهند لن تالو جهدا لتسوية مشاكلها مع الصين الشعبية وان ذلك لا يمنع الهند من الاستعداد واتخاذ اجراءات عسكرية لمواجهة كل الاحتمالات .

٦ – قدمت لجنة التحقيق فى قضية لاوس تقريرها الى مجلس الامن وتقول اللجنة انها لم تجد اي برهان على اشتراك قوات فيتنام الشمالية فى القتال فى لاوس .

– عاد شاه ايران الى طهران وصدر بلاغ اردني ايراني . يؤكد تصميم البلدين على حماية استقلالهما .

٧ – بدأ الناخبون فى الكاميرون الشمالية الواقعة تحت الوصاية البريطانية يقترعون بين الانضمام الى نيجيريا المستقلة فى العام المقبل او ارجاء اتخاذ قرار حول مستقبلهم وتجري الاستفتاء الامم المتحدة .

٨ – وقعت جمهورية السودان والجمهورية العربية المتحدة اتفاقية حول اقتسام مياه النيل .

– وصل الامير فورودوم سيهانوك رئيس وزراء كمبوديا الى القاهرة فى زيارة رسمية .

٩ – وصل الى طهران محمد ايوب خان رئيس جمهورية باكستان فى زيارة رسمية .

– انتخب التونسيون جمعية وطنية من ٩٠ عضوا جميعهم منحزب الدستور الجديد. كما جدد انتخاب الحبيب بو رقيبة رئيسا للجمهورية .

– ارسل شو ان لاي الى نهرو يقترح ان تنسحب قوات الهند والصين عشرين كيلومترا من حدودهما المتنازع عليها كما اقترح شو ان لاي ان يجتمع بنهرو فى القريب لبحث العلاقات بين البلدين .

١٠ – اعلن نهرو ان الهند لم تقبل الادعاء الصيني فى الاراضي الهندية وقال اننا لا نستطيع ان نسمح للصين بان تضع قدمها فى اراضينا .

– اعلن فى الخرطوم ان القوات السودانية احبطت محاولة تمرد فى الجيش واعتقلت المتمردين .

– وضع ديغول ثلاثة شروط لعقد مؤتمر للاقطاب بين الشرق والغرب هي : تخفيف التوتر الدولي والتفاهم مسبقا بين الدول الغربية واجراء اتصالات شخصية بينه وبين خروشوف الذي سيزور فرنسا فى ١٥ مارس المقبل .

– غادر الملك حسين عمان فى رحلة الى اوروبا .

١١ – غادر همرشولد نيويورك الى لاوس لدراسة الحالة بنفسه .

١٢ – صرح شو ان لاي رئيس وزراء الصين الشعبية انه يحتمل ان يؤدي انشاء علاقات دبلوماسية مع اليابان الى عقد معاهدة عدم اعتداء بين البلدين .

١٣ – تبنت اللجنة السياسية للامم المتحدة قرارا تطلب فيه من فرنسا ان تمتنع عن القيام باجراء تجارب نووية فى الصحراء الافريقية .

١٤ – اتهمت امريكا القوات الشيوعية التي تهدد استقلال لاوس بانها مدينة بقوتها للصين الشعبية وفيتنام الشمالية .

– اعلنت لجنة التوفيق الدولية ان الحكومة الاسرائيلية وافقت على الافراج عن جميع حسابات اللاجئين الفلسطينيين التي ما تزال مجمدة فى المصارف .

١٥ – قدمت كوبا مذكرة الى امريكا ابدت فيها قلقها لتردي العلاقات بينهما ورفضت المذكرة ما تفترضه الولايات المتحدة من وجود خطة مدبرة فى كوبا لاحلال عدم الثقة والخصومة بين الشعبين .

١٦ – اعلن هيرتر وزير الخارجية الامريكية ان على دول العالمين الشيوعي والحر ان تتفق على قواعد ثابتة لمنع منافستها من ان تنقلب فى النهاية الى حرب نووية .

– استقال الكاردينال تيسران من منصبه كسكرتير للمجمع المقدس فى الفاتيكان وعين الكاردينال امليتو سيكونياني خلفا له .

– رفض نهرو اقتراح الصين بسحب القوات العسكرية على طول حدود التيبت وعقد اجتماع مع شو ان لاي .